أجمع آية لخصال الدين: دلالات وهدايات

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



أجمع آية لخصال الدين: دلالات وهدايات

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

إن القرآن الكريم منهج هذه الأمة، وصلاحها، وسبب سعادتها في الدنيا والآخرة، والبحث في سوره وآياته، واستخراج هداياته، والتنقيب عن كنوزه، والغوص في أسراره، من أشرف العلوم الشرعية، وأجلها مكانة. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. إنَّ جماع الخير في هذه الآية الموجزة المعجزة التي ينتظم فيها كل وجوه البر، من أسس العقيدة، والعمل الصالح، والخلق الكريم، صلة بين العبد وربه، وعلاقة بالناس وحياتهم ؛ لذا حق لهاوصفها بأنها: (أجمع آيةٍ لخصال الدين). لقد جمعت الآية الكريمة أصول الإيمان الخمسة: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وبهذه الأسس تترسخ شجرة الإيمان الاعتقادية في القلب المؤمن، ويحيى حياة طيبة. إن البر أعم من التقوى، وأعلى مرتبة منه؛ لذا يأتي تقديمه في الآيات التي يقترن بها ،كما أن البر والتقوى إذا أفردا دخل كل واحد منهما في الآخر تضمناً؛ لأن البر جزء من التقوى، والعكس.وقد تجلى من خلال الدراسة كذلك سعة مدلول (البر) الذي هو خلال الخير كلها، مما يتقرب به إلى الله تعالى، من الإيمان، والأعمال، والأخلاق، والآداب، وغيرها من الطاعات التي هي جزء من مجموع خصاله، وشعبه المتعددة، مما يدل على علو هذه الكلمة، وبسوقها.



المقدمـــة

الحمد لله الذي أوجب البر والتقوى، والشكر له على ما فتح من الإنعام وأسدى، شكر المعترف بنعمه التي جلَّت أن تُحصى، أو أن يبلغها حد فتستقصى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالحق والهدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأتقياء، أهل البر والوفاء، والتابعين ومن سار على نهجهم واقتفى.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم منهج هذه الأمة، وصلاحها، وسبب سعادتها في الدنيا والآخرة، والبحث في سوره وآياته، واستخراج هداياته، والتنقيب عن كنوزه، والغوص في أسراره، من أشرف العلوم الشرعية، وأجلها مكانة.

ومن طوَّف النظر في مقادير التفاسير، يجد فيها المطولات، والمتوسطات، والمختصرات، وما هو في وريقات متناولة تأويل بعض الآيات، ومنها ما أُفرد في رسالة مستقلة لشرح آيةٍ بعينها؛ لما أُودع فيها من الأصول الجامعة، والمعاني البليغة، والتي هي من لوائح بينات إعجازه، وبُنية إيجازه.

ومن لطف الله تعالى بعبده أن فتح عليه الوقوف على آيةٍ عظيمةٍ جامعةٍ لأمر الدين، تمتلئ القلوب بها إجلالاً وهيبة، ويستعذب الحديث عن دلائلها، وأبعاد مراميها، وتأمُّلها يحرّك القلب، ويزيد الإيمان، ويزكي الخلق، ويقود إلى العمل.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

إنَّ جماع الخير في هذه الآية الموجزة المعجزة التي ينتظم فيها كل وجوه البر، من أسس العقيدة، والعمل الصالح، والخلق الكريم، صلة بين العبد وربه، وعلاقة بالناس وحياتهم.

من هنا عقدت العزم، وتوجهت لدراسة هذه الآية الكريمة التي وصفها الأجلاء من

أهل العلم بأنها "أجمع آية لخصال الدين" في محاولة مني – مع عجزي وإشفاقي – لسبر أغوارها، وتفتيق أسرارها، مرتشفاً من مَعِيْنها ما تيسر من معانيها ولطائفها، ومستلهماً من فيوضها المبسوطة دلالاتها وهداياتها، سائلاً المولى – عز وجل – البر والتقوى، ومن العمل ما يرضى.

خطة البحث:

تشتمل على: مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

المقدمة: وتشتمل على: الافتتاح، وأهمية البحث، وعنوانه، وخطة إعداده.

المبحث الأول: مفهوم البر، والفرق بينه وبين التقوى.

المبحث الثاني: تلقيب الآية الكريمة، ووصفها

المبحث الثالث: سبب نزول الآية الكريمة، والمخاطب بها.

المبحث الرابع: القراءات الفرشية في الآية الكريمة.

المبحث الخامس: أنواع البر في الآية، وتشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البر في العقيدة، وتحته خمس مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله.

المسألة الثانية: الإيمان باليوم الآخر.

المسألة الثالثة: الإيمان بالملائكة.

المسألة الرابعة: الإيمان بالكتاب.

المسألة الخامسة: الإيمان بالنبيين.

المطلب الثاني: البر في العمل، وتحته ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: بذل المال للأصناف الستة، وتحته ستة فروع:

الفرع الأول: صنف ذوي القربى.

الفرع الثاني: صنف اليتامى.

الفرع الثالث: صنف المساكين.

الفرع الرابع: صنف ابن السبيل.

الفرع الخامس: صنف السائلين.

الفرع السادس: صنف الرِّقاب.

المسألة الثانية: إقام الصلاة.

المسألة الثالثة: إيتاء الزكاة.

المطب الثالث: البر في الخُلق، وتحته مسألتان:

المسألة الأولى: الوفاء بالعهد.

المسألة الثانية: الصبر في مجالاته الثلاثة: (البأساء، الضراء، حين البأس)، وتحته أربعة فروع:

الفرع الأول: الوجه الإعرابي المشكل في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

الفرع الثاني: مجال الصبر في البأساء.

الفرع الثالث: مجال الصبر في الضراء.

الفرع الرابع: مجال الصبر حين البأس.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي انتهيت إليها من خلال البحث

ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم البر، والفرق بينه وبين التقوى:

البرُّ لغةً: خلاف العقوق، وهو مصدر بَرَّ يَبَرُّ بِرّاً، وزان: علِمَ يعلمُ علماً، فهو برٌّ وبارٌّ[١].

والبحث الدلالي لهذه المفردة تدل على عدة معانٍ في الوضع اللغوي، منها:

١. الاتساع في الإحسان والزيادة فيه. يقال: أبَرَّ على صاحبه في كذا، أي: زاد عليه[٢].

٢. الصدق، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "فأما الصدق فقولهم: صدَق فلانٌ وبَرَّ، وبَرَّتْ يمينُه صدَقت، وأبَرَّها أمضاها على الصدق..."[٣].

٣. الصلاح، ومنه: بَرَّ يَبَرُّ: إذا صَلَح[٤].

٤. الهداية، يقال: بَرَّ يَبَرُّ: إذ هُدِي[٥].

٥. الصِّلة: يقال: بَرَّ رحِمَه يَبَرُّ: إذا وَصَلَه[٦].

وبالنظر لهذه الدلالات المتفرعة لكلمة: (البر)، فإنها تجتمع في جملتها على دلالةٍ مشتركةٍ منضوية تحت مسمى: (الخير)؛ الذي يستوعبها جميعاً ضمن حدود شواطيه؛ لذا فإن البر: "اسم جامع للخير كله"[٧] وبه "خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا: ما يُيسره الله – تبارك وتعالى – للعبد من الهدى والنعمة والخيرات؛ وخير الآخرة: الفوز بالنعيم الدائم في الجنة"[٨] نسأل الله الكريم من فضله، والتوفيق للقيام بأمره، وأن نكون من عباده الهداة البررة.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ٦٧/١ (برر)، والصحاح ٤٨٨/١ (برر)، والمحكم ٢٤٢/١٠ (برر)، والمصباح المنير ص ١٧ (بر).

(٢) انظر: تهذيب اللغة ١٩٠/١٥ (بر)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤، والنهاية في غريب الحديث ١١٦/١ (برر).

(٣) مقاييس اللغة ١٧٧/١ (بر)، وانظر: العين ص ٦٣ (بر)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤ (بر)، وأساس البلاغة ١٥٥/١ (برر)، وعمدة الحفاظ ٢٠٢/١ (برر).

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١٨٩/١٥ (بر).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) انظر: المصدر السابق، والفروق اللغوية ص ١٩٢، ولسان العرب ٥٤/٤ (بر)، والقاموس المحيط ٦٩٥/١ (البر).

(٧) انظر: تهذيب اللغة ١٨٥/١٥، ١٨٨ (بر)، وإكمال المعلم ٨٢/٨، والجامع لأحكام القرآن ٥٤/٣، ومعجم لغة الفقهاء ص ١٠٥.

(٨) تهذيب اللغة ١٨٦/١٥ (بر).

ثم إن لعلماء التفسير والبيان في (البر والتقوى) مناحي في التفريق بينهما أو التوفيق.

فقد ذكر ابن عطية المالكي (ت:٥٤١هـ) عن قومٍ قولهم: "هما لفظان بمعنى، وكرر باختلاف اللفظ تأكيداً ومبالغة: إذ كل برٍّ تقوى، وكل تقوى برٌّ"[١].

ولم يرتضه ابن عطية (ت: ٥٤١هـ) فقال معقباً: "وفي هذا تسامح ما، والعرف في دلالة هذين اللفظين أن البر يتناول الواجب والمندوب إليه، والتقوى رعاية الواجب. فإن جُعل أحدُهما بدلَ الآخر فبتجوّزٍ"[٢].

ومن فرّق قال:

البر: العمل بما أمر الله العمل به، والتقوى: اتقاء ما أمر الله باتقائه، واجتنابه من معاصيه[٣].

ويؤكد هذا المعنى، ما روي عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – أنه قال: "البر: ما أُمرت به، والتقوى: ما نُهيت عنه"[٤]. وبمثله قال أبو العالية الرياحي[٥] (ت:٩٠هـ).

وقد تتابع المفسرون على هذا التفريق[٦]، بيد أن منهم من جلّى الفرق بينهما ببعض الأمور، كما فعل ابن عطية (ت٥٤١هـ) – وقد تقدم قوله-. وسار على منواله بتفصيلٍ أكثر ابن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ) حيث قال: "والفرق بين (البر والتقوى): أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات، فالبر أعم من التقوى"[٧].

وأما ابن رجبٍ الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) فيرى أنه "قد يكون المراد بالبر: معاملة

---

(١) المحرر الوجيز ٢/١٥٠، ونقل القرطبي هذا القول في الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٦٩، وانظر: قواعد التدبر الأمثل ص ٤٤٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢/١٥٠.

(٣) انظر: جامع البيان ٨/٥٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨/٥٢.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨/٥٣.

(٦) انظر: تفسير السمرقندي ١/٤١٤، والكشف والبيان ٤/١١، والهداية ٣/١٥٧٨، والوجيز ١/٣٠٧، وزاد المسير ٢/٢٣٥، ومجمع البيان ٣/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٨٩، وتفسير ابن عرفة ٢/٨٤، ونظم الدرر ٢/٣٨٩، وإرشاد العقل السليم ٣/٥.

(٧) التسهيل ١/١٦٧.

الخلق بالإحسان، وبالتقوى: معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته، وقد يكون أريد بالبر: فعل الواجبات، وبالتقوى: اجتناب المحرمات"[1].

وقد أبان ابن القيم (ت:٧٥١هـ) الفرق بين المفردتين، بعبارةٍ دقيقةٍ، ونظرٍ ثاقبٍ، يثير الإعجاب، ويسترعي الانتباه، حيث قال: "وإذا أُفرد كل واحدٍ من الاسمين دخل فيه المسمى الآخر، إما تضمناً وإما لزوماً، ودخوله فيه تضمناً أظهر؛ لأن البر جزء مسمى التقوى، وكذلك التقوى فإنه جزء مسمى البر، وكونُ أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران، لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند الانفراد...

فإن حقيقة البر: هو الكمال المطلوب من الشيء، والمنافع التي فيه والخير، كما يدل عليه اشتقاق هذه اللفظة، وتصاريفها في الكلام...

وأما التقوى فحقيقتها: العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهياً...

أما عند اقتران أحدهما بالآخر، كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] فالفرق بينهما فرق بين السبب المقصود لغيره، والغاية المقصودة لنفسها؛ فإن البر مطلوب لذاته، إذ هو كمال العبد وصلاحُه الذي لا صلاح له بدونه.

وأما التقوى: فهي الطريق الموصلةُ إلى البر، والوسيلة إليه، ولفظها يدل على هذا... فلفظها دال على أنها من الوقاية، فإن المتقي قد جعل بينه وبين النار وقايةً، فالوقاية من باب دفع الضرر، والبر من باب تحصيل النفع، فالتقوى كالحِميَة، والبر كالعافية والصحة"[3].

وإذا تقرر هذا، فإن البر والتقوى مرتبتان جليلتان في مدارج السلوك، فالبر هو الزيادة في أفعال الخير، ومراضي الله، فوق الواجبات، وهو أعلى من مرتبة التقوى، والتقوى يتحقق بما يقي من العذاب بفعل الواجبات، وترك المحرمات، ولفضل مرتبة (البر) على مرتبة (التقوى) جاء تقديم (البر) على (التقوى) فيما اقترنا فيه من الآيات[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٥١.

(٢) سورة المائدة: ٢.

(٣) الرسالة التبوكية ٥ – ١١.

(٤) انظر: قواعد التدبر الأمثل ص ٤٤٣، وسنن الله في إحياء الأمم ص ٤٧٦.

المبحث الثاني: تلقيب الآية الكريمة، ووصفها:

من تأمل (آية البر)[1] الجامعة لخصال الدين الظاهرة والباطنة، وقف على أصولٍ عظيمةٍ، ومعانٍ قويمةٍ، وأخلاقٍ فاضلةٍ رشيدةٍ، تهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، فهي تعنى بإصلاح المعتقد، وسلامة الباطن، والقيام بقيم خيرة ظاهرة؛ فلا غرو أن جمعت الآية الخير كله في ارتباطٍ وثيقٍ، وتآصرٍ أصيلٍ، ومعالم بينة، وتصويرٍ جامعٍ، فمن ضبطها ضبط دينه، وارتقى في الكمالات العملية، والفضائل الخُلُقية، وأدّى الحقوق المنوطة به، في برٍّ وتقوى.

لقد شملت الآية مجامع البر ومعاقده من:

أصول الإيمان الخمسة وهي: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة والكتاب، والنبيين.

والشرائع الظاهرة من: إيتاء المال مع حبه لذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

والأعمال القلبية من: الوفاء بالعهد، والصبر في البأساء، والضراء، وحين البأس.

إنها آية عظيمة جامعة لمقاصد الدين، ومظاهر الخير، والكمالات البشرية، حري لمن حققها أن تصلح أحواله، ويعيش في جوٍّ آمنٍ، وطمأنينة سابغة، وعزّة ممتدة، وأن ينعم بالحياتين، ويسعد في الدارين.

يقول الإمام الحافظ سفيان الثوري (ت:١٦١هـ) عن الآية الكريمة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية: "هذه أنواع البر كلها"[2].

---

(١) أول من أطلق عليها هذا اللقب الخاص – فيما وقفت عليه – ابن تيمية. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٢٢٠، ١٨٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٨٨/١، قال: حدثنا أبي، ثنا ابن أبي عمر، قال: قال سفيان.... انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥١/١.

ورجال إسناده ثلاثة كالآتي:

١. أبي: هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، أحد الأئمة الحفاظ الأثبات المشهورين بالعلم، المذكورين بالفضل، توفي بالرّي سنة سبع وسبعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال ٣٨١/٢٤، والتبيان لبديعة البيان ٧٩١/٢.

وعلّق الحافظ ابن كثير على ما ذكر الثوري بقوله: "وصدق – رحمه الله – فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله"[1].

وفي المسألة الخامسة التي عرضها الإمام القرطبي (ت:٦٧١هـ)، من جملة المسائل الثمانية في الآية الكريمة ما نصه:

"قال علماؤنا: هذه آيةٌ عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمّنت ستَّ عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته– وقد أتينا عليها في "الكتاب الأسنى" – والنَّشْر والحشرِ والميزانِ والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار – وقد أتينا عليها في كتاب "التذكرة" – والملائكة، والكتب المنزلة، وأنها حق من عند الله – كما تقدم – والنبيين، وإنفاق المال فيما يعِنُّ من الواجب والمندوب، وإيصال القرابة وتَرْك قَطْعهم، وتفقُّد اليتيم وعدم إهماله، والمساكين كذلك، ومراعاةَ ابن السبيل – وقيل: المنقطع به، وقيل: الضيف – والسُّؤَّال، وفكَّ الرِّقاب، وسيأتي بيان هذا في آية الصدقات، والمحافظة على الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود، والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب. وتقدم التنبيه على أكثرها، ويأتي بيان باقيها بما فيها في مواضعها إن شاء الله تعالى"[2].

وهو بهذا يؤكد معنى ما ذكر من قبل، أن الآية جامعة لمعاقد البر كله، فهي من أمهات الأحكام.

وأبان الأصولي المفسر نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ) "أن الدين مشتمل على الإيمان والإسلام والإحسان... وهذه الآية تضمنت ذلك"[3].

---

٢. أبو عمر: محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، نزيل مكة. كان رجلاً صالحاً صدوقاً. توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين. انظر: تهذيب الكمال ٦٤٢/٢٦، وتقريب التهذيب ص ٩٠٧.

٣. سفيان: هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ، فقيه عابد، مصنف كتاب الجامع. توفي سنة إحدى وستين ومئة. انظر: حلية الأولياء ٣٩٣/٦، وسير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٩. إذاً فالأثر بهذا الإسناد حسن؛ لحال أبي عمر.

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٥١/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٥٩، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٤ (بر).

(٣) الإشارات الإلهية ٣١٢/١.

وعلى المنوال ذاته يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): "وهذه الآية عظيمة جليلة القدر، من أعظم آي القرآن، وأجمعه لأمر الدين"[١].

ذلك أن الآية مفتتحة بلفظٍ جامعٍ وهو (البر)، ومختتمة بلفظ جامعٍ وهو (التقوى).

و(البر): إذا أُطلق تناول جميع ما أمر الله به، وإذا أُطلق كان مسماه مسمى التقوى.

كما أن (التقوى): إذا أُطلق كان مسماه مسمى البر[٢].

وقال ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) في تعبيرٍ بديعٍ: "وقد جمع الله تعالى خصال البر في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٣].

فأخبر سبحانه أن البر هو الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وهذه هي أصول الإيمان الخمس التي لا قِوامَ للإيمان إلا بها.

وأنه الشرائع الظاهرة: من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنفقات الواجبة.

وأنه الأعمال القلبية التي هي حقائقه: من الصبر، والوفاء بالعهد.

فتناولت هذه الخصال جميع أقسام الدين: حقائقه وشرائعه، والأعمال المتعلقة بالجوارح وبالقلب، وأصول الإيمان الخمس.

ثم أخبر سبحانه أن هذه خصال التقوى بعينها، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤]".

وأشار محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) إلى تبيان الآية لأصول البر، ومقاصد الدين[٥].

كما نوَّه الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) بعظم هذه الآية، حيث جمعت الخصال

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٢/٢٠، وانظر: المصدر نفسه ١٣/١٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ١١٥/٧.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

(٤) الرسالة التبوكية ص ٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن الحكيم ٨٨/٢.

المذكرة فيها "جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة، وصالحات الأعمال"[1].

وعلى ضوء ما سبق ذكره من كلام أهل العلم السابقين، من أعلام المفسرين، يتبين بجلاءٍ اتفاقهم على أن هذه الآية الكريمة: تعد من أجمع آيات القرآن الكريم لأمر الدين؛ لاستيفائها جميع خصال الإيمان والإسلام والإحسان والمعاملة، فهي آية معجزة باهرة، جاءت موجزة محكمة، حاوية لأمر الدين كله، فحق لها وصفها: بـ (أجمع آيةٍ لخصال الدين).

* * *

---

(١) التحرير والتنوير ٢/١٣٢.

المبحث الثالث: سبب نزول الآية الكريمة، والمخاطب بها:

وردت عدة روايات في سبب نزول الآية، وسوقها على النحو الآتي:

الرواية الأولى: عن أبي العالية (ت: ٩٠هـ)، قال: كانت اليهود تُقبِل قِبَل المغرب، وكانت النصارى تُقبِل قِبَل المشرق، فقال الله[١]: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾"[٢].

الرواية الثانية: عن قتادة (ت: ١١٧هـ)، قال: "كانت اليهود تصلي قِبَل المغرب، والنصارى تصلي قِبلَ المشرق، فنزلت: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[٣].

الرواية الثالثة: عن قتادة (ت ١١٧هـ) قوله: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾: ذُكر لنا أن رجلاً سأل نبي الله -عليه الصلاة والسلام- عن البر، فأنزل الله هذه الآية. وذُكر لنا أن نبي الله -عليه الصلاة والسلام- دعا الرجل فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم مات على ذلك يرجى له ويُطمع له في خير. فأنزل الله: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾. وكانت اليهود توجَّهت قِبَل المغرب، والنصارى قِبَل المشرق، ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ الآية"[٤].

---

(١) في الدر المنثور ١٣٩/٢، ولباب النقول ص ٣٠: "فنزلت" بدلاً من "فقال الله". والعبارة المثبتة دلت على السببية، كما هو ظاهر من سياق ورودها.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٨٧/١، وسنده ضعيف. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٩٧/١، وانظر: الدر المنثور ١٣٩/٢، ولباب النقول ص ٣٠.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٦٦/١، والطبري في جامع البيان ٧٥/٣، وإسناده حسن إلا أنه مرسل. انظر: روايات أسباب النزول ١٤٨/١، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٨/٢ لعبدالرزاق، وابن جرير. وانظر: العجاب في بيان الأسباب ٤٢١/١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٦/٣، وسنده صحيح إلى قتادة إلا أنه مرسل. انظر: روايات أسباب النزول ١٤٨/١، والاستيعاب في بيان الأسباب ٩٦/١، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ١٣٩/٢ لعبد بن حميد، وابن المنذر. وانظر: أسباب نزول القرآن ص ١٥٧.

الرواية الرابعة: عن الربيع بن أنس (ت:١٣٩هـ) قال: "كانت اليهود تصلي قِبَل المغرب، والنصارى قِبَل المشرق، فنزلت﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾"[1].

قد ابتنى على روايات نزول الآية، تفاوت النظر بين المفسرين في المخاطب بها، وذلك على قولين مشهورين:

القول الأول: أنهم المسلمون.

وهو مروي عن حبر الأمة ابن عباس[2] (ت:٦٨هـ)، ومجاهد[3] (ت:١٠٤هـ)، والضحاك[4] (ت:١٠٥هـ)، وقتادة[5] (ت:١١٧هـ).

وأيّد هذا القول ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)، حيث يرى أن هذه الآية متصلة بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾[6]، وهي ختام للمحاجة في شأن تحويل القبلة، إلا أنه أقبل بهذا الخطاب لأهل الإيمان؛ بمناسبة ذكر أحوال أهل الكتاب، وما كان من حسدهم لهم في اتباع أمر الإسلام، والمقصود: تلقينهم الحجة على أهل الكتاب؛ لما هوّلوا عليهم أمر إبطال القبلة، وفي ذلك تعريض بأهل الكتاب[7].

القول الثاني: أنهم اليهود والنصارى.

وهو ظاهر المروي عن أبي العالية[8] (ت:٩٠هـ)، وقتادة[9] (ت:١١٧هـ)، والربيع بن أنس[10] (ت:١٣٩هـ).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٦/٣، وسنده ضعيف جداً. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ٩٦/١، وذكره ابن أبي حاتم بنحوه معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٨٧/١، وانظر: العجاب في بيان الأسباب ٤٢٢/١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٤/٣، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٨٧/١.

(٣) انظر تخريج روايته في المصدرين السابقين.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٥/٣، وذكره ابن أبي حاتم عنه معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٨٧/١.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٦/٣، وانظر: الكشف والبيان ٤٩/٢.

(٦) سورة البقرة: ١٤٢.

(٧) انظر: التحرير والتنوير ١٢٨/٢.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٦/٣.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٦٦/١٥، والطبري في جامع البيان ٧٥/٣، ٧٦.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٦/٣.

وقد نظر إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) إلى سباق سياق الآيات السابقة ونظمها، وأنها في توبيخ أهل الكتابين؛ فرجح على ضوء ذلك وقرر: أن اللاحق هنا جاء خطاباً لهم كذلك، من باب تناسق المعاني وتضامنها، فقال – رحمه الله –:

"وأولى هذين القولين بتأويل الآية القول الذي قاله قتادة والربيع بن أنس أن يكون عنى بقوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾، اليهود والنصارى؛ لأن الآيات قبلَها مضت بتوبيخهم ولومِهم، والخبر عنهم وعما أُعدَّ لهم من أليم العذاب، وهذه في سياق ما قبلها – فتأويلها إذ كان الأمر كذلك – ليس البرَّ أيها اليهود والنصارى أن يُولِّيَ بعضكم وجهه قِبَل المشرق، وبعضكم قِبَل المغرب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ برُّ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية"[1].

وهو بهذا يخص أهل الكتاب الذين خاضوا في أمر القبلة، وحصر كل منهم البر في جهته.

والذي يظهر للباحث الحمل على العموم، فيكون الخطاب عاماً للمسلمين واليهود والنصارى، فهو عود على بدء، ويؤيد ذلك ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب[2]، ومن المتقرر: أن قواعد العموم مقدمة على قواعد السياق، إذ هي أقوى منه[3]، فإطار الدلالة العامة يرشح القول بالعموم على قاعدة السياق هنا.

يقول الرازي (ت:٦٠٦هـ): "وقال بعضهم: بل هو خطاب للكل... وهذا أشبه بالظاهر إذ لا تخصيص فيه، فكأنه تعالى قال: ليس البر المطلوب هو أمر القبلة، بل البر المطلوب هذه الخصال التي عدها"[4].

الأمر الثاني: أن الآية متصلة بما قبلها، والمتضمنة لذكر أحوال أهل الكتاب وما وقع

---

(١) جامع البيان ٣/٧٦، وقد استظهر ابن عرفة هذا القول في تفسيره ١/٢٠٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٩.

(٣) انظر: قواعد الترجيح ١/٦٦.

(٤) التفسير الكبير ٢/٢١١، وانظر: الكشاف ١/٣٦٢، وتفسير غرائب القرآن ١/٤٧٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٠٥، وروح المعاني ٢/٤٥، والتحرير والتنوير ٢/١٢٨، وقد أيد القول بالعموم محمد رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم ٢/٨٧.

منهم، فهي من تتمات وختام ما كان من أمر تحويل القبلة بين المسلمين وأهل الكتاب، فأهل الإسلام قد تعلق بهم الخطاب في أمر القبلة، في مثل قول الحق تبارك وتعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [1]، واليهود الذين أنكروا على رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وأصحابه توجههم إلى جهة الكعبة، بعد أن كانوا يصلون إلى بيت المقدس، جاء الإخبار عنهم في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [2][3].

الأمر الثالث: أن البر الحقيقي المنصوص عليه في الآية الكريمة، مأمور بالالتزام به، والقيام بحقوقه، وصرف الهمة إليه، عموم الفريقين من المسلمين وأهل الكتاب، بل ويعم الناس جميعاً[4]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [5]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [6].

يقول عبدالقادر بن أحمد بدران (ت:١٣٤٦هـ): "وعليه فالآية عامة للفريقين، وهو أولى ما تفسر به"[7].

وبعد هذا التفصيل والتعليل، يتبين للمتأمل في مرامي النص، ومناحي الدلالة، أن الحمل على العموم هو القول المنصور، والله أعلم وأحكم.

* * *

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٠/١، والتحرير والتنوير ١٢٨/٢، ومعالم قرآنية في الصراع مع اليهود ص ٧٦.

(٤) انظر: ترجيحات الإمام ابن جرير ٨٩٦/٢.

(٥) سورة النساء: ٤٧.

(٦) سورة الحجرات: ١٥.

(٧) جواهر الأفكار ص ٤٦٨.

المبحث الرابع: القراءات الفرشية في الآية الكريمة:

أولاً: قوله تعالى﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾.

في الآية قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ حمزة، وحفص عن عاصم، لفظ ﴿ٱلْبِرَّ﴾ بالنصب.

ووجه القراءة: أن ﴿ٱلْبِرَّ﴾: خبر ﴿لَّيْسَ﴾ مقدم، و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ اسمها مؤخر وهو في تأويل مصدر.

والمعنى: (ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ كله).

والمتأمل للتفسير والإعراب، يستبين له أن كلاً منهما يكمل الآخر، فالإعراب يوضح التفسير، وأسباب النزول – مثلاً – تتخير الوجه المناسب أو المطلوب من وجوه الإعراب[1].

لذا نلحظ ملمحاً بلاغياً في قراءة النصب من جهة سياق مناسبة النزول، فإن أمر استقبال القبلة كان هو الشغل الشاغل، والركيزة الأساس لهم، فكانت هذه التولية هي المقدَّمة فناسب أن تجعل اسم ﴿لَّيْسَ﴾، وذكر خبرها قبلها؛ ليترقب السامع المبتدأ، فإذا سمعه تقرر في علمه[2].

القراءة الثانية: قرأ الباقون لفظ (البرُّ) بالرفع.

ووجه القراءة: أن (البرُّ): اسم ﴿لَّيْسَ﴾ و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾: خبرها في تأويل مصدر.

والمعنى: (ليس البرُّ توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب)[3].

والملمح البلاغي لقراءة الرفع من ناحية دلالة سياق مناسبة النزول، ظاهري في سؤال السائل عن البر، فناسب الابتداء به وتقديمه، وجعله اسم ﴿لَّيْسَ﴾[4].

مسألة: إشكال ورفعه:

---

(١) انظر: ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص ٢٣١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٢/١٢٩، والقراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ١٥.

(٣) انظر: القراءتين في: معرفة قراءات أهل الأمصار المعروف بـ(السبعة) ص ١٧٦، والتيسير ص ٧٩، والنشر ٢/٢٢٦، وتوجيههما في: الحجة لأبي علي الفارسي ١/٤٠٩، وحجة القراءات ص ١٢٣، والكشف لمكي ١/٢٨٠، والكتاب الموضح ١/٣١٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢/١٩٢، والقراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص ١٥.

منع جماعة منهم: ابن دَرَسْتَوَيْهِ[1]، تقديم خبر﴿ لَّيْسَ ﴾ على اسمها؛ لأنها تشبه (ما) الحجازية، ولأنها حرف على قول جماعة[2].

وما أُثير من المنع الإعرابي في القراءة يجاب عنه بالآتي:

١- أن القراءة متواترة ثابتة، والعمدة الرواية، لا العلل النحوية، أو القياسات اللغوية، والقرآن هو الذي يحكم اللغة لا العكس.

٢- مذهب علماء العربية جواز توسط خبر﴿ لَّيْسَ ﴾ بينها وبين اسمها مع قلته[3].

يقول العكبري: (ت:٦١٦هـ): "فأما﴿ لَّيْسَ ﴾ فاتفقوا على جواز تقديم خبرها على اسمها"[4].

وقال ابن مالك: (ت:٦٨٦هـ): "توسيط خبر﴿ لَّيْسَ ﴾ جائز بإجماع"[5].

والخلاف بينهم إنما هو صائر في تقديم خبر﴿ لَّيْسَ ﴾ عليها، لا في توسطه[6].

٣- ورود تقديم خبر﴿ لَّيْسَ ﴾ على اسمها في عيون الشعر العربي، من ذلك: قول السَّموءل:

سَلِي إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ... فليسَ سَوَاءً عالِمٌ وجَهُولُ[7]

---

(١) هو أبو محمد عبدالله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيه، أحد النحاة المشهورين، والأدباء المذكورين، أخذ عن المبرِّد، وابن قتيبة، وأخذ عنه: المرزباني، من مؤلفاته: »الإرشاد«، و»شرح كتاب الجرمي«، توفي سنة سبع وأربعين وثلاث مئة. انظر: طبقات النحويين للزبيدي ص ١١٦، ونزهة الألباء ص ٢٤٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ٤/٢، والدر المصون ٢٤٥/٢. وقد استظهر الباحث دخيل العواد عدم صحة نسبة هذا الرأي لابن درستويه، وقال: »وكم من رأي نُسب إلى عالمٍ وفي كتبه ما يخالفه... وإن صح أنه قال بهذا الرأي، فلا يلتفت إليه؛ لمخالفته إجماع العلماء، والقراءة المتواترة، وكلام العرب«. المسائل المتفق عليها بين النحويين ص ٣٦٢.

(٣) انظر: شرح الكافية لابن مالك ٤٠٠/١، وعمدة الحافظ ٢٠٣/١، والبحر المحيط ٤/٢، والدر المصون ٢٤٥/٢.

(٤) اللباب ١٦٨/١.

(٥) شرح التسهيل ٣٤٩/١.

(٦) انظر: الإنصاف ١٥/١، وتوجيه مشكل القراءات ص ١٤٢، وعمدة الحافظ ٢٠٦/١، وشرح ابن الناظم ص ٩٧، وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب القسم الثاني ١٠٤٩/٢.

(٧) البيت في ديوانه ص ٩٢. وانظر: شرح ابن عقيل ١٥٢/١. والشاهد في البيت: تقديم خبر ليس: وهو (سواءً) على اسمها: (عالمٌ).

وقول عروة بن الورد:

أليسَ عظيماً أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   وليس علينا في الحُقوقِ مُعَوَّلُ[1]

يقول أبو علي الفارسي (ت:٣٧٧هـ) بعد ذكره للقراءتين: "كلا المذهبين حسن؛ لأن كل واحدٍ من الاسمين: اسم ليس وخبرها، معرفة، فإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسماً، والآخر خبراً، كما تتكافأ النكرتان"[2].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾.

في الآية قراءتان:

القراءة الأولى: قرأ نافع، وابن عامر: (ولكنِ البرُّ) بتخفيف النون في (ولكنْ)، وكسرها وصلاً.

ووجه القراءة: لفظ (البرُّ) مرفوع بالابتداء، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ الخبر، وكسرت النون لالتقاء الساكنين.

القراءة الثانية: قرأ الباقون: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بتشديد النون من ﴿وَلَٰكِنَّ﴾، ونصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾.

ووجه القراءة: ﴿ٱلْبِرَّ﴾ هنا اسم لكنَّ، و﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ الخبر، وفيه ثلاثة تقديرات:

الأول: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله، وهو على تأويل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

الثاني: ولكن ذا البر من آمن بالله، ويتأول البر بمعنى ذي البر.

وقد أشار الديريني (ت:٦٩٧هـ) للتقدير الأول والثاني في نظمه قائلاً:

ولكنَّ البرُّ فَقُلْ ذُو البِرِّ   وقيلَ بَرٌّ مَنْ بِحَذْفٍ يَجْرِي[3]

الثالث: ولكن البار، والبر بمعنى البار، على تسمية اسم الفاعل بالمصدر. وقدِّر

---

(١) البيت في ديوانه ص ٦٢، وانظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/١١٦٩، والشاهد في البيت: تقديم خبر ليس: (عظيماً)، على اسمها، وهو المصدر المؤول من (أن تُلِمَّ)، والتقدير: أليس إلمام ملمة عظيماً.

(٢) الحجة ١/٤٠٩، وانظر: البسيط ٣/٥١٣، والكتاب الموضح ١/٣٠٣.

(٣) التيسير في التفسير ١/٣٤، وانظر: فقه اللغة ص ٣٠٣، والمدخل ص ٧٥، والموضح في التفسير ص ٣٠، وبصائر ذوي التمييز ٢/٢١١.

بهذه التقديرات؛ لأن ﴿ٱلْبِرَّ﴾ مصدر، ولا يخبر عن المصادر بالأسماء، و﴿مَنْ﴾ اسم، فلا تكون خبراً عن المصدر[1].

* * *

---

(1) انظر القراءتين في: التيسير ص ٧٩، والعنوان ص ٧٣، والتلخيص ص ٢١٦، والمستنير ١/٥٠، وتوجيههما في: معاني القرآن للفراء ١/١٠٤، ومجاز القرآن ١/٦٥، والمقتضب ٢/١٩٠، وجامع البيان ٣/٧٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/٢٤٦، وعلل القراءات ١/٧١، والحجة ١/٣٥١، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٧٩، ومشكل إعراب القرآن ١/١١٨، والمدخل ص ٧٥، والبسيط ٣/٥١٣، والكشاف ١/٣٦٢، وكشف المشكلات ١/٢٥٧، والكتاب الفريد ١/٤٣٦، والبحر المحيط ٢/٤.

المبحث الخامس: أنواع البر في الآية

وتشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البر في العقيدة

وتحته خمس مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله:

أولى الأركان الإيمانية الخمسة المذكورة في الآية الكريمة: الإيمان بالله – سبحانه وتعالى – وهو التصديق الجازم بوجود الله – جل جلاله – وربوبيته – تقدس وتعالى – وأنه متصف بكل صفات الكمال، ونعوت الجلال، واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه[1].

والإيمان بالله: أصل العقيدة الإسلامية، وأساس البر، وعليه مدار الأعمال، فلا يُقبل عمل بلا إيمان.

والإيمان بالمولى الكريم، يتضمن الإيمان بوجوده تعالى، والإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

والأدلة على وحدانيته مستفيضة في كتاب الله تعالى، وقد تنوع العرض القرآني في تقرير ذلك بأساليب عدة، فتارة بضرب الأمثال، وحيناً بالرد على المبطلين الجاحدين، وأخرى بذكر الأدلة والأقيسة العقلية، ومرة بالتذكير بنِعم المُنعم المتفضل... وغير ذلك من أسباب البيان، وبراهين التفرد.

وقد بدئت الآية الكريمة بتقديم ذكر (الإيمان بالله) أولاً على غيره من أركان الإيمان، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ فهو أساس البر، وأصل العقيدة، وكل الأركان الإيمانية مضافة إليه، وتابعة له، فالله واحد في ربوبيته، واحد في إلهيته، واحد في أسمائه وصفاته.

وبالإيمان بالله العظيم تسمو النفوس، وتطئمن القلوب، وتسكن الأفئدة، فلا سبيل لتسرب الوهن إليها، أو نفوذ الزيغ فيها؛ لذا كان أولى صفات المتقي البار: الإيمان بالله، فهو معتصم بالإيمان الذي تغلغل في قلبه، وظهر أثره على حاله، حيث يجد برد اليقين، والأمن والأمان يوم الدين.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية ص ٤١، ومعارج القبول ٢/٦٥٥، والكواشف الجلية ص ٥٣، والمنهاج ص ٤٣، وإتمام المنة ص ١٧٣، وسنن الله في إحياء الأمم ص ٢٤٥.

يقول محمد أبو زهرة (ت:١٣٩٤هـ): "وأول البر وسنامه وأصله: الإيمان... وأول من يجب الإيمان به الله، فالإيمان به هو لب الإيمان كله، وهو الخضوع والإذعان، والعبادة له وحده لا شريك له، وامتلاء النفس بذكره بحيث لا تذكر غيره في الغدو والآصال، وفي الصحو، وفي المنام، ومن الإيمان بالله تعالى: الإيمان بأنه وحده الخالق للوجود، والإيمان بأنه وحده الموصوف بصفات الكمال، والإيمان بأنه وحده المستحق للعبادة، فليس في الوجود من يستحق العبادة سواه"[١].

ولئن كانت آية البر قد جمعت بين خمسةٍ من الأركان الإيمانية، عدا الإيمان بالقدر، فإنه ولا ريب داخل في توحيد الربوبية الذي من مشتملاته الإيمان بقضاء الله وقدره[٢]؛ لذا فإن الإيمان بالله – جل وعز – يقتضي الإيمان بالقضاء والقدر، ويستلزمه، إذ هو جزء من الإيمان بالله تعالى.

المسألة الثانية: الإيمان باليوم الآخر:

جاء ذكر (اليوم الآخر) مقروناً بالإيمان بالله تعالى ستاً وعشرين مرة في إحدى عشرة سورة قرآنية، وجاء ذكره منفرداً في أزيد من خمس وعشرين ومائة آية مكية ومدنية[٣]. وهذا الموطن الرابع من مواطن ورودها.

واليوم الآخر: هو يوم القيامة، وسمي آخراً؛ لأنه ليس بعده يوم[٤].

قال الفيروزآبادي: (ت:٨١٧هـ): "الآخِر: اسم يقابل به الأول، موضوع للنهاية، كما أن مقابِلَه للبداية"[٥].

وقد عقد أهل السنة والجماعة مذهبهم على الإيمان باليوم الآخر، وذلك بالاعتقاد الجازم، والتصديق الكامل بيوم القيامة، فيؤمنون بما أخبر الله تعالى به في كتابه، وما

---

(١) زهرة التفاسير ١/٥١٩، وانظر: الإشارات الإلهية ١/٣١٠.

(٢) انظر: القضاء والقدر ص ٤٧، والمدخل ص ١٠١.

(٣) انظر: سنن الله في إحياء الأمم ص ٢٨٩.

(٤) انظر: جامع البيان ١/٢٧٨.

(٥) بصائر ذوي التمييز ٢/٨٩، وقد اتجه الصاغاني إلى أن جعل البداية موازاة للنهاية، على طريق الازدواج، من اللحن، حيث يقول: "وبِدَاءَةُ الأمر، بالكسر والمد. ابتِداؤه: وقول العامة: البداية مُوازاةً للنهاية لَحْنٌ، ولا تُقاس على الغَدَايا والعَشَايا، فإنها مسموعة بخلاف البداية" العباب الزاخر ص ٢٤.

أخبر به رسوله -عليه الصلاة والسلام- مما يكون بعد الموت، وحتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار[1].

وبالمعـــاد أيقــن بــلا تــردُّدِ	ولا ادعـا علـمٍ بوقـتِ الموعـدِ
لكنَّنـا نـؤمنُ مِـنْ غيـر امتِـرا	بكـل مـا قـد صـحَّ عـن خيـر الـورَى
مـن ذكـرِ آيـاتٍ تكـونُ قبلهـا	وهـي علامـاتٌ وأشـراطٌ لهـا
ويـدخلُ الإيمـانُ بـالموتِ ومـا	مِـن بعـدهِ علـى العبـادِ حُتِمـا[2]

والنصوص متوافرة على ذكر اليوم الآخر، وتأكيد قيامه في الكتاب العزيز، بل قد جاء الربط بينه، وبين الإيمان بالله في عددٍ من المواضع، وذلك دلالة على الاهتمام به، والاعتناء بشأنه، حفزاً للنفوس للعمل الصالح، والانكفاف عن الباطل، حيث الجزاء على الأعمال في ذلك اليوم المهول.

والإيمان باليوم الآخر عقيدة راسخة في جميع الأديان، لم تخلُ منها رسالة من الرسالات السابقة من لدن نوح - عليه السلام - إلى خاتم الأنبياء محمد -عليه الصلاة والسلام-، فما من نبي إلا وأنذر قومه ذلك اليوم الذي يقفون فيه بين يدي ربهم[3] - جل وعز -.

واليهود أخلّوا بهذا الركن العظيم، حيث عادوا جبريل، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله[4].

إن الإيمان باليوم الآخر من البر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، فهو مقر الجزاء والحساب، والثواب والعقاب، ذلك اليوم المهول الذي تتكشف فيه الحقائق، ويعظم الخطب، ويحار العقل، لقد خاب وخسر من استبعد إحياء العظام

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٨، وشرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٢، والكواشف الجلية ص ٧٨، والإيمان ص ١٤٩.

(2) معارج القبول ٦٨١/٢، ٧٠٣.

(3) انظر: سنن الله في إحياء الأمم ص ٢٩٠، ٣٠٨.

(4) انظر: التفسير الكبير ٢١٣/٢، وجواهر الأفكار ص ٤٦٩.

بعدما أرمّ، وتجميع الأجزاء بعد أن تلاشت هباءً منبثّا، وأين هم من بدء خلقهم أول مرة! أليس من قدر على الإبداء أول مرة، قادر على إعادته من باب أولى؛ "لأن المعاد له أصل في الوجود والحياة، والإبداء ليس مبنياً إلا على مجرد القدرة الباهرة، لا على سببٍ سابقٍ"[١].

يقول البقاعي: (ت: ٨٨٥هـ): "ولما كان من أهم خلال الإيمان القدرة على البعث، والتصديق به؛ لأنه يوجب لزوم الخير، والبعد عن الشر، قال: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الذي كذّب به كثير من الناس، فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعضٍ"[٢].

"وكان الإيمان باليوم الآخر تالياً للإيمان بالله تعالى؛ لأنه تصديق لما أمر الله به، ولأنه سلوان المحسن العابد، وإنذار للمشرك المكذب، والمعاند المستكبر الجاحد، وقد تبين له الحق"[٣].

المسألة الثالثة: الإيمان بالملائكة:

ذكر لفظ (الملائكة) في الكتاب الكريم ثمان وستين مرة، في إحدى وثلاثين سورة قرآنية، وهذا الموطن الخامس من مواطن ورودها.

والملائكة: جمع تكسير، والتاء فيه للمبالغة، أو لتأكيد تأنيث الجمع[٤].

وهو مشتق من (لأكَ) بمعنى: أرسل، فأصل المفرد (مَلأَك)، ثم نقلت حركة الهمزة المفتوحة إلى اللام الساكنة قبلها، وحذفت الهمزة تخفيفاً، فقيل: (مَلَكٌ)، وجاء الجمع على الأصل برد الهمزة (ملائِكَة) على وزن: مفاعِلة[٥].

---

(١) شرح مختصر الروضة ٣/ ٢٥٤، وانظر: استخراج الجدال ص ٩٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/ ٢٢٤، والمسائل التي خالف فيها رسوله – صلى الله عليه وسلم – أهل الجاهلية ص ١٦١، وأضواء البيان ٤٣/١، والقياس في القرآن ص ٢٤٥.

(٢) نظم الدرر ٢٢٣/١.

(٣) زهرة التفاسير ٥١٩/١.

(٤) انظر: الأزهية ص ٢٥١، والمحكم ٧/ ٩٠، والجامع لأحكام القرآن ٣٩٣/١.

(٥) انظر: البحر المحيط ٢٨٤/١، والدر المصون ٢٥٠/١، ومعجم مفردات الإبدال ص ٢٤٨، وقد تعددت الأقوال، وتباينت الآراء في وزن واشتقاق الملائكة، وللاستزادة ينظر: الكتاب ٤/ ٥٢٢، ومجاز القرآن ٣٥/١، وإصلاح المنطق ص ٧٠، وجامع البيان ٤٧٢/١، ومعاني القرآن للزجاج ١١٢/١، والأصول في النحو ٣/ ٣٣٩، وجمهرة اللغة ٩٨١/٢ (ملك)، والمحكم ٧/ ٨٩، وشرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٢٨٨، والتبيان

"فسميت الملائكةُ ملائكةً بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده"[1].

والإيمان بالملائكة الأطهار ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، ولا يتم إيمان العبد إلا بتحقيق الإيمان بالملائكة الكرام – عليهم السلام – وقد خلقهم الله – عز وجل – من نور، وهم عباد مكرمون، يمتثلون أمر ربهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهم إجمالاً، أي: الإيمان بوجودهم، وأنهم عباد الرحمن، وليسوا إناثاً.

ويؤمنون بهم تفصيلاً، أي: بمن أخبر الله – عز وجل – عنهم في كتابه المبين، أو أخبر به نبيه –عليه الصلاة والسلام– في سنته الشريفة؛ كجبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالقطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومالك خازن النار[2].

والإيمان بالملائكة من البر، وهو دليل التقوى، وقد جعله تعالى تالياً للإيمان باليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ومن ثمرات الإيمان بالملائكة: الإيمان بالوحي، والأنبياء، واليوم الآخر. فالإيمان بهم يدل على الإيمان بالأركان الإيمانية الأخرى. ويلزم من إنكارهم إنكار الوحي، والنبوة، واليوم الآخر.

فيجب الإيمان بالملائكة الهداة الذين أقامهم الله تعالى وسائط بينه وبين أنبيائه، تبليغاً لوحيه، وتنفيذاً لأمره.

يقول الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) عند تفسيره لهذا الجزء من الآية: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: وآمن بهم وصدق بأنهم عباد مكرمون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ومنهم المتوسطون بينه وبين أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام – بإلقاء الوحي، وإنزال الكتب"[3].

في إعراب القرآن ص ٢٨. والبحر المحيط ١/ ٢٨٤. والدر المصون ١/ ٢٤٩. ومعجم مفردات الإبدال ص ٢٤٨.

(١) جامع البيان ١/ ٤٧٥.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٥، ٤٠٧. وشرح العقيدة الواسطية ص ٤٥. ومعارج القبول ٢/ ٦٥٦. والكواشف الجلية ص ٥٨. والمنهاج ص ١٨٧. وإتمام المنة ص ١٧٣. والإيمان ص١٣١.

(٣) روح المعاني ٢/ ٤٥. وانظر: الإشارات الإلهية ١/ ٣١١. وأساليب المجرمين ص ٣٠٩.

والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب، وما أخفاه الله تعالى عنا من الغيب مما لم تدركه حواسنا، يجب الإيمان به على سبيل الإجمال أو التفصيل، ومن أعظم ركائز الإيمان للمؤمنين تصديقهم بالغيب المستور، والملائكة من عوالم الغيبيات التي يجب الإيمان بها، ولا قوام للإيمان إلا بالتصديق بهم، والاعتقاد الجازم بوجودهم.

يقول ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ): "ومن فوائد الآية: أن الإيمان بالملائكة من البر؛ فيشمل الإيمان بذواتهم، وصفاتهم، وأعمالهم إجمالاً فيما علمناه إجمالاً، وتفصيلاً فيما علمناه تفصيلاً؛ واعلم أن الملائكة – عليهم الصلاة والسلام – منهم من عُين لنا، وعرفناه باسمه، ومنهم من لم يعين؛ فمن عين لنا وجب علينا أن نؤمن باسمه كما عين.... ثم كذلك أعمالهم منهم من علمنا أعماله؛ ومنهم من لم نعلم، لكن علينا أن نؤمن على سبيل الإطلاق بأنهم عباد مكرمون، وممتثلون لأمر الله – عز وجل –"[١].

المسألة الرابعة: الإيمان بالكتاب:

ورد لفظ (الكتاب) في مئتين وثلاثين موضعاً قرآنياً.

و(الكتاب) هنا يراد به: الجنس[٢]، فيشمل كل كتب الله المنزلة، ومن أفراده الفرقان، وهو القرآن، المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادةٍ وهناء في الدارين[٣].

والكتب: هي التي أنزلها الله على رسله؛ لهداية الخلق إلى الحق، والوصول بهم إلى

---

(١) تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – ٢/ ٢٨٤.

(٢) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في تفسير قوله: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: "يريد الكتب". انظر: البسيط ٣/ ٥١٨.

(٣) انظر: الكشف والبيان ٢/ ٥٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٥١، وإرشاد العقل السليم ١/ ١٩٣، وروح المعاني ٢/ ٤٥، ومحاسن التأويل ١/ ٤٤٠.

وتعريف ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا: تعريف الجنس المفيد للاستغراق، وإيثار صيغة المفرد، لخفة اللفظ، وفي عطف ﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ على الكتاب قرينة على أن اللام في ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ للاستغراق. انظر: التحرير والتنوير ٢/ ١٢٩.

وقيل: المراد بالكتاب هنا: القرآن. انظر: النكت والعيون ١/ ٢٢٥، والكشاف ١/ ٣٦٣، وزاد المسير ١/ ١٦١، والإيمان به يقتضي التصديق بكل ما جاء فيه من ذكر للكتب الإلهية السابقة. "فإن من آمن به فقد آمن بكل الكتب؛ فإنه شاهد لها بالصحة" الدر المصون ٢/ ٢٤٧.

سعادة الدنيا والآخرة.

والإيمان بالكتب الإلهية أصل من أصول العقيدة، وأحد الأركان الإيمانية، ولا يتحقق الإيمان إلا به.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكتب الله المنزلة التي فيها الهدى والنور، المتضمنة للوصايا النافعة، والمواعظ الجامعة، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكل ما فيه صلاح البشرية، وسعادتهم في الأولى والآخرة. ومن كتبه التي سماها عز اسمه: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وموسى.

ومن أعظمها: القرآن، والتوراة، والإنجيل.

وأعظم الثلاثة: القرآن الكريم، وهو آخر الكتب السماوية، المهيمن عليها والناسخ لها، والشاهد عليها، الذي تكفّل الله بحفظه، من أي تحريفٍ أو تبديلٍ، أو زيادةٍ، أو نقصٍ، إلى يوم يرفعه الله تعالى، وذلك قبل يوم القيامة[1].

يقول السعدي: (ت:١٣٧٦هـ) في قوله: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾[2]: "أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفيسة، فهو الكتاب الذي تتبّع كلّ حقٍّ، جاءت به الكتب فأمر به، وحثّ عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة والأحكام، الذي عُرضت عليه الكتب السابقة؛ فما شهد له بالصدق؛ فهو المقبول، وما شهد له بالرد؛ فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا؛ فلو كان من عند الله لم يخالفه"[3].

والإيمان بكتب الله – عز وجل – يجب إجمالاً فيما أجمل، ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ﴾[4]، وتفصيلاً فيما فصل من الكتب التي سماها الله – عز وجل – في القرآن. والإيمان بالكتب من البر "وكيفيته: أن نؤمن بأن كل كتاب أنزله الله على أحد من

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١، وشرح العقيدة الواسطية ص ٤٩، ومعارج القبول ٦٧١/٢، والكواشف الجلية ص ٦٠، والمنهاج ٢١٥، وإتمام المنة ص ١٧٣، والإيمان ص ١٣٥.

(2) سورة المائدة: ٤٨.

(3) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤٦.

(4) سورة الشورى: ١٥.

رسله فهو حق: صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام؛ ولكننا لا نكلف بالعمل بما فيها فيما جاءت شريعتنا بخلافه"[1].

المسألة الخامسة: الإيمان بالنبيين:

ورد لفظ (النبيين) ثلاث عشرة مرةٍ في ثمان سورٍ قرآنية. وهذا الموطن الثاني من مواطن ورودها.

والنبي أعم من الرسول، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً. فمقام الرسالة إذاً أخص من مقام النبوة، ويلزم من الإيمان بالنبي الإيمان بالرسول[2].

والإيمان بالنبيين من أركان الدين، وأحد أصول الإيمان.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الرسل والأنبياء اصطفاهم الله تعالى، واختصهم بوحيه، وأرسلهم إلى عباده، دعاة إلى دين الحق؛ لهداية البشرية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتطهيرهم من أدران الشرك والوثنية، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[3]، وقد بلغوا رسالة ربهم كما أمرهم، ونصحوا أممهم، وأدوا الأمانة المنوطة بهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، فكانوا على الحق المبين، والهدى المستبين.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بمن سمى الله منهم في كتابه على وجه التفصيل فيمن فصَّل، ويؤمنون جملة بأن لله رسلاً وأنبياء غيرهم ممن لم يسم منهم.

وقد ذكر في القرآن الحكيم خمسة وعشرون رسولاً ونبياً، وهم: أبو البشر آدم،

---

(1) تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين ٢/ ٢٨٦، وانظر: الإشارات الإلهية ١/ ٣١١.

(2) انظر: تفسير ابن عرفة ١/ ٢١٠. وقد أجاد ابن تيمية في استخراج تعريفٍ دقيقٍ بين النبي والرسول، ورسم معالم ذلك وفق المنهج القرآني، والسنة النبوية، حيث يقول: "النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسولٍ" النبوات ٢/ ٧١٤. فالنبي إذاً من بعث بشريعة رسولٍ قبله ليجددها، ويحيي معالمها، والرسول من بعث إلى قومٍ مخالفين يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده دون سواه.

(3) سورة النحل: ٣٦.

ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد خاتم الأنبياء، وأشرف المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والإيمان برسل الله – عز وجل – متلازم، فيجب الإيمان بهم من غير تفريق، ومن كفر بأحدهم فقد كفر بالله تعالى، وبجميع الرسل الكرام[1] – عليهم الصلاة والسلام –، ومن قدح في أحدهم ألزم القدح في الكل، فهم في العصمة والنزاهة كأسنان المشط، قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[3].

و"التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان، وكذلك الإيمان باليوم الآخر هو والإيمان بالرسل متلازمان، فالثلاثة متلازمة، ولهذا يجمع بينهما في مثل قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾[4]"[5].

إن الإيمان بالنبيين الكرام من البر الذي قال عنه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ فنشهد بصدقهم في تبليغهم رسالات

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٤٢٣، وشرح العقدية الواسطية ص ٥٠، ومعارج القبول ٢/٦٧٥، والكواشف الجلية ص ٦٦، والمنهاج ص ٢٥٣، وإتمام المنة ص ١٧٤، وسنن الله في إحياء الأمم ص ٢٦٦، والإيمان ص ١٤١.

(2) سورة البقرة: ٢٨٥.

(3) سورة النساء: ١٥٠ – ١٥٢.

(4) سورة الأنعام: ٥٠.

(5) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٩/ ٢٩.

ربهم، وحرصهم على هداية أقوامهم، ونصحهم لهم، وصبرهم على أذاهم، فكانوا نبراساً يقتدى ويهتدى بهم في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والعلم الصحيح، بأحسن بيانٍ، وأقوم سبيلٍ؛ ليسعد الناس في الحاضر والمآل، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين.

يقول نجم الدين الطوفي (ت:٧١٦هـ): "والإيمان بالنبيين هو التصديق بأنهم صادقون فيما بلغوا من الرسالات، مؤيدون من الله – عز وجل – بالحجج والبينات، سفراء بين الله – عز وجل – وخلقه، قائمون في خدمته بواجب حقه، معصومون فيما بلغوه من الكذب، منزّهون عن إتيان الفواحش والريب"[1].

وقال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): "والإيمان بهم أن يصدق بأنهم معصومون مطهرون، وأنهم أشرف الناس حسباً ونسباً، وأن ليس فيهم وصمة ولا عيب منفر، ويعتقد أن سيدهم وخاتمهم محمد –عليه الصلاة والسلام–، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، والتمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامة"[2].

المطلب الثاني: البر في العمل

وتحته ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: بذل المال للأصناف الستة، وتحته ستة فروع

تمهيد:

جاء لفظ (المال) في التنزيل إحدى عشرة مرة، وهذا الموطن الأول من مواطن ورودها، بينما التصريفات الأخرى لكلمة (المال) جاءت خمساً وسبعين مرة، فيكون المجموع الكلي لورود اللفظة بتصريفاتها ستاً وثمانين مرة في القرآن ذي الذكر.

والمال في اللغة: جمعه أموال، وهو ما ملكه الإنسان من جميع الأشياء[3].

وهو في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يقنى ويملك، وأكثر ما تطلقه العرب على الإبل خاصة؛ لأنه كان أكثر أموالها، وأنفسها عندهم[4].

---

(١) الإشارات الإلهية ٣١١/١.

(٢) روح المعاني ٤٥/٢، وانظر: تفسير القرآن الحكيم ٩١/٢.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٣٩٥/١٥ (مال)، ولسان العرب ٦٣٥/١١ (مول).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث ٣٧٣/٤.

إذاً فالمال: اسم لجميع ما يملكه الإنسان[1].

وقد تجلَّت عناية القرآن الكريم بموضوع المال الذي هو عصب الحياة، وأخذ حيزاً في ثنايا آياته، يتمثل في تنظيم اكتسابه، ووجوه إنفاقه، والإرشاد إلى استثماره، والنهي عن إضاعته وإتلافه، إلى غير ذلك من معالم رعايته، ومعالجة جوانبه.

وبعد أن بين تعالى في مطلع الآية الكريمة حقه على خلقه في تحقيق الأصول الإيمانية التي حددها من الطاعات الباطنة، وترسيخها في النفس الإنسانية، انتقل إلى حق الخلق، استكمالاً لخصال البر، ودروب الخير، وبيان سعة مفهوم الدين، حيث بيَّن تعالى أن من أخصِّ أعمال البر، التي هي عنوان التقوى: الجود ببذل المال للأصناف الستة المخصوصة في الآية الجليلة، من: ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، والرقاب، مما يوجب مزيد العناية بهم، ومعرفة ما لهم من الحقوق، طلباً للثواب من عظيم العطاء، فلفتت الآية بهذا إلى العناية الربانية بالخلق.

إن "مقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جُبِلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح... وقد حثَّ الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه، وتعديه، وكثرة ثوابه... وذلك الإنفاق من حال البر المذكور في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾... فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة، ذلك – والله أعلم – لتعدي نفعه"[2].

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ بمعنى: منح وأعطى، يقول ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): "وحقيقة الإيتاء: الإعطاء، فحقّه أن يتعدى إلى الذوات، ويكون بمناولة اليد إلى اليد"[3].

ويمكن ملاحظة التطابق الدلالي بين (آتى) و(أعطى)، وما بينهما كذلك من تشابه

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء ص ٣٩٦.

(٢) فتح المجيد ص ٤٠٨.

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٢٣٥، وانظر: مقاييس اللغة ١/ ٤٩ (أتى)، ولسان العرب ١٤/ ١٧ (أتي)، وأضواء البيان ٣/ ٢٦٢.

صوتي، فـ (آتى): فعل ماضٍ، ثلاثي مزيد، أصله: أَأْتَي، ووزنه (أَفْعَلَ)، و(الهمزة الثانية) فيه تقابل (العين) وهما من مخرج واحدٍ، وقد وقع بينهما إبدال[1].

"كما أن (التاء) تقابل (الطاء)، وهما من مخرج واحدٍ، وقد وقع بينهما إبدال قياسي في الافتعال، كما تقول: مصطفى، والأصل: مصتَفى، فلا يبعد أن يكون للتشابه الصوتي بين الفعلين أثر في تحديد الدلالة المعجمية"[2].

وآثر النظم الجليل لفظ ﴿وَءَاتَى﴾؛ تنبيهاً على عظم أمره، ولفت الانتباه إلى أن تقديمه يكون عن لينٍ ورقةٍ، وشفقةٍ ومحبةٍ – والله أعلم –.

وجاء تقييد المال بقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[3]؛ للدلالة على تحررهم من عبودية المال

---

(١) انظر: الإبدال ٥٥٢/٢، والموضح في التجويد ص ٢٠٢، ودرة الغواص ص ١٣٨، ومعجم مفردات الإبدال ص ٣٠٢، والخلاف التصريفي ص ١١٥.

(٢) الخلاف التصريفي ص ١١٦، وانظر: التمهيد في علم التجويد ص ١١١، ١٣٢.

(٣) فيه مسائل: **الأولى**: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: مع حبه، فعلى هنا تفيد مفاد كلمة (مع) التي تدل على المصاحبة، وفي (على) التي هي للاستعلاء، دلالة على تمكن حب المال.

انظر: الجنى الداني ص ٤٧٦، والدر المصون ٦٩/١، والتحرير والتنوير ١٣٠/٢، ومعجم حروف المعاني ٦٣٧/٢.

الثانية: اختلف في عود الضمير (الهاء) في قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، على أقوالٍ عدةٍ:

١ – أنه يعود على المال.

٢ – أنه يعود على الإيتاء.

٣ – أنه يعود على الله تعالى.

٤ – أنه يعود على المؤتي أي: المنفق للمال.

انظر: جامع البيان ٧٨/٣، وأحكام القرآن للجصاص ١٦٠/١، والكشف والبيان ٥١/٢، ومشكل إعراب القرآن ١١٨/١، والبسيط ٥١٨/٣، والمحرر الوجيز ٢٤٣/١، والبيان ١٣٩/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٠/٣، والتسهيل ٦٩/١، والبحر المحيط ٦/٢، والدر المصون ٢٤٧/٢، والفتوحات الإلهية ٢٢٩/١، والتحرير والتنوير ١٣٠/٢.

والراجح: قول الأكثرين من المفسرين أنه يعود على المال؛ لأنه أقرب مذكور، والقاعدة التفسيرية: «أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليلٍ». انظر: البحر المحيط ٦/٢، والدر المصون ٢٤٧/٢، وقواعد الترجيح عند المفسرين ٦٢٨/٢.

الثالثة: سياق الآية، ونسق تلاوتها، يدل على الحث على النفقة التي هي من أعمال البر، أملاً فيما عند الله تعالى من كريم العوائد، وجميل العواقب، ولم يرد هنا الزكاة؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَقَامَ

الذميمة، التي تنافي معاني البر الكريمة، فلم يتمكن حب المال من نفوسهم، ولم يستحكم على عقولهم، فهم يطلقون أيديهم، ويدفعون كرائم أموالهم، ويواسون جراح إخوانهم؛ ابتغاء رضوان الله وعفوه وغفرانه.

إن حب المال جامح، وسطوته نافذة، وخداعه لأربابه ظاهر، وإسعاف النفس في الانعتاق منه، والتغلب على نوازعه، وذلك بإخراجه بنفسٍ زاكيةٍ، ويدٍ حانيةٍ؛ ليسمو المرء إلى أرفع ذروةٍ، وأبعد مدى في كمالات البر والتقوى.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأملُ الغنى..."[1].

قال ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) عند تفسيره لقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: "والمراد: أنه يعطي المال مع حبه للمال وعدم زهادته فيه، فيدل على أنه إنما يعطيه مرضاة لله تعالى، ولذلك كان فعله هذا براً"[2].

إن البدء بإيتاء المال من تلك النفوس السخية، والأيدي الندية، للأصناف المستحقة للنفقة حسب تسلسل قربهم[3]، ومدى حاجتهم، يحمل في طيه لفتة كريمة إلى عظيم المصالح، وجميل التكافل، التي تعم الفرد والمجتمع، عند قضاء ضوائق الأقربين، وسداد عوز المعوزين، فالحاجات مشتركة، والحقوق ممتزجة.

وقد ذكرت الآية الكريمة أصنافاً ستة يؤتون المال، وهم حسب ترتيب مواقعهم على النحو الآتي:

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فلما عطف الزكاة عليها، دل على أنه لم يرد الزكاة المفروضة. انظر: أحكام القرآن للجصاص ١/١٦٠، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٨٧، والتسهيل ١/٦٩، ودراسات في قواعد الترجيح ١/٣٧٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل، وصدقة الشحيح الصحيح ٢/٥١٥، رقم (١٣٥٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٢/٧١٦، رقم: (١٠٣٢).

(٢) التحرير والتنوير ٢/١٣٠.

(٣) يقول الزركشي: «قدم القريب؛ لأن الصدقة عليه أفضل من الأجنبي» البرهان ٣/٢٥٦.

الفرع الأول: صنف ذوي القربى:

ورد لفظ (القربى) بهذه الصيغة في تنزيل رب العالمين ست عشرة مرة في ثلاث عشرة سورة قرآنية.

وهذا الموطن الثاني من مواطن ورودها.

وقربى في اللغة: مصدر (فُعْلَى)، تقول: بيني وبينه قرابة، وهو قريبي وذو قرابتي، وهم أقْرِبائي وأقاربي[1].

"والقرب خلاف البعد، وفلان ذو قرابتي، وهو من يقرب منك رحِماً"[2].

"ويقال: القرب في المكان.

والقربة في المنزلة.

والقُربى والقرابة في الرحِم"[3].

"والقَرابَة والقُرْبى: الدُّنُوُّ في النسب، والقربى في الرحم"[4].

والمراد بذي القربى: أصحاب القرابة، وهم الذين يقربون من الإنسان "بولادة الأبوين، أو بولادة الجدين"[5].

ومن البر: منح المال لذوي القرابة المحتاجين، والمستحقين للنفقة؛ تحقيقاً لمعنى التواصل، وتعميقاً لجذور التآلف؛ حتى تسود أجواء المحبة والمودة، وتمتد وشائج القربى، وتتقوى أواصر التكافل، وتتجدَّد صور الوئام، وأولويتهم بحسب قربهم من المعطي، فالقريب أبدى، والأقربون أولى بالمعروف.

ووجه تقديم ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ على غيرهم من الأصناف؛ لأن حقهم آكد، وصلتهم أوجب، وبرهم أعظم.

يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: "إن الصدقة على المسكين صدقة، وإنها على

---

(1) انظر: الصحاح ٢٠٦/١ (قرب)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن ص ٣٦٨.

(٢) مقاييس اللغة ٨٠/٥ (قرب).

(٣) المصباح المنير ص ١٨٩ (قرب)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٦٣.

(٤) لسان العرب ٦٦٥/١ (قرب).

(٥) التفسير الكبير ٢١٧/٢، وانظر: طلبة الطلبة ص ٢٨٦، ومعجم لغة الفقهاء ص ٣٥٩.

ذي الرَّحِمِ اثنتان: صدقة وصلة"[١].

كما أن من حكمة التربية والتي رعاها القرآن، أن يبدأ من الأوامر بما تعين فطرة الإنسانية على قبوله، ببداهة الفكرة، أو بشعور العاطفة. وكلتا هاتين يجب للنفس إيتاء حق القريب بابتدائه في الأمر؛ ليكون تقبلها له أسهل، ومبادرتها للامتثال أسرع.

فإذا سخت النفوس بإيتاء حق القريب، ومرنت عليه، اعتادت الإيتاء وصار من ملكاتها، فسهل عليها إيتاء كل حق، ولو كان لأبعد الناس[٢].

ويدخل في ذوي القربى جميع الأقارب قريبهم وبعيدهم، ومن كان أقرب كان أحظ بالبر، والوالدان أقرب الناس رُحماً "والحكم إذا علق بوصفٍ تختلف أفراده فيه قوة وضعفاً، فإنه يزداد قوة بقوة ذلك الوصف، فإذا كان معلقاً بالقرابة، فكل من كان أقرب فهو أولى؛ وأقرب الناس إليك، وأحقهم بالبر أمك، وأبوك"[٣].

يقول السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "ثم ذكر المنفق عليه وهم أولى الناس ببرك وإحسانك من الأقارب؛ الذين تتوجع لمصابهم، وتفرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه: تعاهد الأقارب بالإحسان المالي والقولي على حسب قربهم وحاجتهم"[٤].

الفرع **الثاني**: صنف اليتامى:

باستقراء لفظ (اليتامى) في آي التنزيل، نقف على أربعة عشر موضعاً من مواطن ورودها بصيغة الجمع في أربع سورٍ قرآنيةٍ، بينما ورد لفظ (اليتيم) بالإفراد سبع مرات، وكذا (يتيماً) مفرداً ثلاث مرات، و(يتيمين) بالتثنية مرة واحدة، ولفظ (اليتامى) بالجمع هو الموطن الثاني من مواطن ورودها.

واليتامى: جمع يتيم والأنثى يتيمة، فإن قيل: كيف جمع اليتيم على يتامى؟ وفعيل يجمع على فعلى،كمريض ومرضى، وجريح وجرحى، فالجواب من وجهين:

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده، كتاب الزكاة، باب الصدقة على القرابة، ٢/١٠٤٦، رقم: (١٧٢٢)، من حديث سلمان بن عامر الضَّبي، وجوَّد إسناده محققه حسين الداراني.

(٢) انظر: تفسير ابن باديس ص ٧٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين ٢/٢٨٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

الأول: أن يجمع على يَتْمَى كأسرى، لأن اليتم من وادي الآفات والأوجاع[1]، ثم يجمع يتمى (فعلى) على يتامى (فعالى) كأسارى.

الثاني: أن يجمع على يتائم (فعائل)، لجري اليتيم مجرى الأسماء، نحو صاحب وفارس، ثم يتامى على القلب[2].

واليُتْم: الاسم، واليَتَم: المصدر.

ويَتِمَ الصبي يَيْتَم يَتْماً ويَتَماً، إذا صار يتيماً.

واليُتم: الانفراد، وبذلك سمي اليتيم، ويقال لكل منفردٍ يتيم، ومنه: البيت اليتيم، والرملة اليتيمة، والدُّرَّة اليتيمة.

واليَتم: الغفلة، وبه سمي اليتيمُ يتيماً؛ لأنه يُتغافل عن برّه.

واليتيم من الناس: الذي قد مات أبوه، ومن البهائم: الذي قد ماتت أمه، لأن الرعاية والعناية منوطة بها[3].

وفي لغة الفقهاء: اليتم من الإنسان: فقد الأب قبل البلوغ، ومن الحيوان: فقد الأم قبل استغنائه عنها[4].

والمعتبر في الشريعة أن فاقد الأب يرتفع عنه حكم اليتم بعد الاحتلام؛ لقوله – عليه الصلاة والسلام –: "لا يتم بعد احتلام"[5].

فإن سمي من زال عنه اسم اليتم بعد بلوغه كان ذلك إطلاقاً مجازياً، باعتبار ما كان

---

(١) أي: أن يتامى شبهت بوَجَاعى، لأجل المصائب التي ابتلوا بها، فشبهت بالأوجاع حين جاءت على (فَعْلَى). انظر: الكتاب ٤/ ١٢٠.

(٢) انظر: الكتاب ٤/ ١٢٠، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣٦٣، والكشاف ٢/ ٩، والتفسير الكبير ٣/ ٤٨٢، والبحر المحيط ١/ ٤٩٩.

(٣) انظر: إصلاح المنطق ص ٣٧٣، وجمهرة اللغة ١/ ٤١١، ٣/ ١٢٨٦، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٣٩ (يتم)، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٤ (يتم)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٨٨٩، والمغرب ص ٥٠٩، والنهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٩١، ولسان العرب ١٢/ ٦٤٥ (يتم)، وغراس الأساس ص ٥٠٩.

(٤) انظر: طلبة الطلبة ص ١٣٠، ومعجم لغة الفقهاء ص ٥١٣.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتيم؟ ٣/ ٢٩٣، رقم: (٢٨٧٣) من حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٢٠٨، وإرواء الغليل ٥/ ٧٩، رقم: (١٢٤٤).

سلفاً، كما كانوا يسمون النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو كبير: يتيم أبي طالب؛ لأنه رباه بعد موت أبيه[1].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[2] فسموا يتامى بعد بلوغهم وإيناس الرشد منهم؛ بالنظر للاسم الأول الذي كانوا يسمون به قبل البلوغ والرشد، من باب تسمية الشيء باسم ما كان عليه[3].

ثمة جملة موفورة من الآيات الكريمات التي أوصت باليتامى، وحثت على القيام بحقوقهم، والإحسان إليهم، وإكرامهم، والعناية بهم، والإنفاق عليهم، وصون ممتلكاتهم، كما أغلظت وشنعت في زجر من يتسلط عليهم بالقهر والإضرار، وتوعدت آكل أموالهم ظلماً بعذاب السعير، نصرةً من الله لهم، وانتقاماً ممن ظلمهم.

إن من أعظم مجالات بر العمل: إنفاق المرء الفضلَ من ماله لليتيم العاجز عن التكسب؛ لضعفه وصغره، حيث فقد والده الذي يحوطه ويحميه، وينفق عليه ويؤويه، فهو متأثر محزون لمصابه، والمال لليتيم من أجزاء بناء كيانه، وتخصيصه بهذا المورد المالي؛ دلالة على العناية الربانية من المولى الكريم بأمر اليتيم؛ إيفاء بمتطلباته، واستثماراً لإمكاناته، وتنظيماً لأموره، وتعويضاً عن فقده لأبيه، حتى ينعم بحياة كريمة، ويكون لبنة صالحة في مجتمعه، وشخصية مميزة في حياته، فلا تطمح عينه لما في أيدي الناس.

إن الإسهام في دفع المال لصالح اليتيم من باب التعاون على البر والتقوى، وتوثيق عرى الإخاء، وبه يتحقق التكافل الاجتماعي، ويقوى البنيان، وتسعد الأمة.

وما أجمل هذا العطاء الذي يرسم صورة من صور التكافل المثلى بين القوي والضعيف، والصغير والكبير، والواجد والفاقد.

كما أن إعانته بالمال يقيه المطامع السيئة، والوقوع في مدارك الفتنة، ومهاوي الرذيلة "فإذا عدم أبوه طمعت النفوس فيه؛ لأن الإنسان ظلوم جهول، والمظلوم عاجز ضعيف، فتقوى جهة الفساد من جهة قوة المقتضَى، ومن جهة ضعف المانع، ويتولد عنه

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٩١، وعون المعبود ٨/ ٥٤.

(٢) سورة النساء: ٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير ٣/ ٤٨٢، والبحر المحيط ٣/ ١٦٧، وفتح الرحمن ص ٢١٩.

فسادان: ضرر اليتيم؛ الذي لا دافع عنه ولا يحسن إليه، وفجور الآدمي الذي لا وازع له"[1].

إن لليتامى حقاً حيث امتدح الله تعالى من آتاهم المال، وبين أنه من وجوه البر، وفي هذا السياق يقول السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وهذا من رحمته تعالى بالعباد الدالة على أنه تعالى أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد وفرض عليهم في أموالهم الإحسان إلى من فُقد آباؤهم؛ ليصيروا كمن لم يفقد والديه؛ ولأن الجزاء من جنس العمل، فمن رحم يتيمَ غيره رُحِم يتيمه"[2].

الفرع الثالث: صنف المساكين:

ذكرت كلمة (المساكين) بالجمع ثنتي عشرة مرة في ثمان سور، و(مسكين) ثمان مرات، و(مسكيناً) ثلاث مرات.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ هنا جاءت الموضع الثاني في ترتيب ورودها.

ومساكين: جمع مسكين، ومادة (سكن) خلاف الحركة والاضطراب[3].

ومسكين: على وزن (مِفعِيل)، صيغة مبالغة في الساكن، الذي سكنه الفقر، أي: قلل حركته، فسكن إلى الناس، فاشتقاقه من السكون الذي بلغ به أقصى درجاته، حتى تجاوز حده.

ويلحظ في المسكين وصف السكون، وقلة الحركة، والمسكنة، والذلة، فهو من أهل الحاجة والعوز، إذ لا يفي خرجه بدخله[4].

فالمسكين محدود القدرة والقوة بحيث يعجز عن تحصيل المعيشة والمال؛ لمرضٍ، أو هرمٍ، أو ضعفٍ في البدن[5].

"والقاعدة عند علماء التفسير: أن الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠٨/٣٤، وانظر: التحرير والتنوير ١٣١/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ٨٨/٣ (سكن).

(٤) انظر: الزاهر ١٢٧/١، وفقه اللغة ص ٦٧، وأساس البلاغة ١٠٤/٢ (قنع)، ولسان العرب ٢١٤/٣ (سكن)، والكليات ٦٩٦، وأحكام الفقير والمسكين ص ٤٩، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن ص ٢٤١.

(٥) انظر: التحقيق في كلمات القرآن ٢٠٠/٥.

اجتمعا"[1].

والفقر أشد حاجة من المسكين عند اجتماعهما؛ لذا وقع الابتداء بذكره في آية الصدقات، على سبيل تقديم الأهم على المهم[2].

إن من البر الجميل، وصالح العمل: دفع الصدقة للمسكين، ومد يد العون له بنوافل الأموال؛ تخفيفاً لمعاناته، والوحدة الشعورية بآلامه، فهو يعيش صعاب الحياة، وتقلبات الأحوال، ومضائق الشدة، وقوارع الخطوب، ومخانق الكروب، وعبء التكاليف.

فطوبى لمن يتفيّئون ظلال البر، ويستبقون في ميادين الصالحات؛ بمواساة إخوانهم المساكين الكليلين، الذين قد لا يجدون ما يأكلون أو يركبون، ولا ما يأوون إليه ويسكنون، فيقفون معهم في أزمتهم؛ لتجاوز محنتهم، وإقالة عثرتهم، وسد خلّتهم، فالمسلم أرحم وأبر بأخيه.

إن إيصال المال للمسكين الملهوف، والمغلوب على أمره؛ فيه تقوية للُحمة بين الأمة، بعطف الغني على الفقير، وصيانة لأمنها من العبث والفوضى والفساد، ودعماً لمسيرتها على البذل والعطاء؛ ليعيش المجتمع حياة كريمة، آمنة مستقرة.

يقول ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قُوتهم وكسوتهم وسكناهم، فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم"[3].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: وهم الذين أسكنتهم الحاجة، وأذلهم الفقر، فلهم حق على الأغنياء بما يدفع مسكنتهم، أو يخففها بما يقدرون عليه وبما تيسر"[4].

---

(١) أضواء البيان ٥ /٤١٣، والعذب النمير ٥ /٢٣٨٣، وانظر: التحرير والتنوير ٢ /١٣١، وتفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين ٢ /٢٧٦.

(٢) انظر: التفسير الكبير ٦ /٨٢، وللتوسع في بسط التفريق بين الفقير والمسكين، ينظر: جامع البيان ١١ /٥٠٩، والكشف والبيان ٥ /٥٧، والتمهيد ٢٢١/١٥، والاستذكار ٨ /٣٤٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٢ /٥٢٣، وزاد المسير ٣ /٣٠٩، وأحكام القرآن لابن الفرس ٣ /١٦١، والجامع لأحكام القرآن ١٠ /٢٤٦، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٣ /٢٠٨، وأحكام الفقير والمسكين ص ٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١ /٤٥١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

الفرع الرابع: صنف ابن السبيل:

جاء ذكر (ابن السبيل) في القرآن المجيد ثمان مرات، وهذا الموطن من سورة البقرة أول مواطن الورود.

والسبيل: الطريق وما وضح منه، يُذكَّر ويُؤنَّث.

وابن السبيل: المسافر الكثير السفر؛ سمي ابناً لها لملازمته إياها[1]، "وكأن إفراده لانفراده عن أحبابه ووطنه، فهو أبداً يتوق إلى الجمع، ويشتاق إلى الرَّبع"[2].

"قال أهل المعاني: كل مسافر من حاجٍّ وغازٍ وغيرهما، فهو ابن السبيل؛ لملازمته الطريق، وكل من لزم شيئاً نسب إليه، فيقال للشجعان: بنو الحروب، وللناس: بنو الزمان؛ لأنهم لا ينفكون منه، ولطير الماء: ابنُ الماء، وهو كثير"[3].

ولأهل التفسير في المراد بابن السبيل عدة أوجه:

الأول: أنه الضيف، قاله ابن عباس[4] (ت:٦٨هـ)، وسعيد بن جبير[5] (ت:٩٥هـ)، ومجاهد[6] (ت:١٠٤هـ)، والضحاك[7] (ت:١٠٥هـ)، وأبو جعفر[8] (ت:١١٤هـ)، وقتادة[9] (ت:١١٧هـ)، ومقاتل بن سليمان[10] (ت:١٥٠هـ)، والفراء[11] (ت:٢٠٧هـ)، وابن قتيبة[12]

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٤٣٦/١٢ (سبل)، والمغرب ص ٢١٦، ولسان العرب ٣٢٠/١١ (سبل).

(٢) روح المعاني ٤٦/١.

(٣) البسيط ٥٢٠/٣، وانظر: المصباح المنير ص ١٠١٤ (سبل).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٨٩/١، رقم: (١٥٥٤).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٨٩/١.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/٧.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/٧.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٣/٣، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٨٢٥/٦، رقم: (١٠٣٩٦).

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٢/٣، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٨٩/١، وانظر: الهداية ٥٦٠/١.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل ٩٣/١.

(١١) انظر: معاني القرآن ٢٦٧/١.

(١٢) انظر: تفسير غريب القرآن ص ٧٠.

(ت:٢٥٦هـ)، والزجاج[١] (ت:٣١١هـ).

الثاني: أنه المسافر الذي يمر عليك من بلد إلى بلدٍ، قاله مجاهد [٢] (ت:١٠٤هـ)، وقتادة[٣] (ت:١١٧هـ)، والربيع بن أنس[٤] (ت:١٣٩هـ).

الثالث: أنه المسافر الذي لا يجد نفقة سفره[٥].

وبالنظر لمجموع الأقوال فإن ابن السبيل: هو الضيف الغريب المنقطع عن أهله وماله في بلدٍ غريبةٍ، وهو المسافر المجتاز[٦] المحتاج، فيعطى من المال ما يوصله إلى بلده وماله[٧].

يقول الطبري (ت:٣١٠هـ): "والصواب من القول في ذلك أن ابن السبيل: هو صاحب الطريق. والسبيل هي الطريق، وابنه: صاحبه الضارب فيه. فله الحق على من مرَّ به محتاجاً منقطعاً به – إن كان سفره في غير معصية الله – أن يعينه إن احتاج إلى معونةٍ، ويضيفه إن احتاج إلى ضيافة، وأن يحمله إن احتاج إن حُمْلان"[٨].

و"قالت الفقهاء: أبناء السبيل الغائبون عن أموالهم، الذين لا يصلون إليها؛ لبعد المسافة بينهم وبينها، حتى يحتاجوا إلى الصدقة، فهي إذ ذاك لهم مباحة، فقد صاروا إلى حكم من لا مال له"[٩].

إن من مجالات البر الخيرة: الإعانة المالية للمسافر المنكسر الجناح، المتكبِّد مشاق

---

(١) انظر: معاني القرآن ٢/ ٥٠.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ١٥٩، والطبري في جامع البيان ٣/ ٨٣، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٩٠، رقم: (١٥٥٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/ ٨٣، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٩٠، رقم: (١٥٥٥).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٩٠، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ١/ ٢٤٣ أن هذا القول أعم.

(٥) انظر: النكت والعيون ٢/ ٣٧٦، وزاد المسير ١/ ١٦١.

(٦) المجتاز: هو الغريب المسافر يمر بالبلد، وليس معه ما يرجع به إلى بلده. انظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف ١/ ٤٢٢، والمغني ٩/ ٣٣٠، والمجموع ٦/ ١٣١.

(٧) انظر: مباحث التفسير ص ١٤٠، والعذب النمير ٥/ ٢٣٩٠، وتهذيب التفسير ١/ ٣٨٢.

(٨) جامع البيان ٧/ ١٨، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٥٢.

(٩) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢٢٧، وانظر: المغني ٩/ ٣٣٠، وروضة الطالبين ٢/ ٣٢١.

الطرق، ووعثاء الدروب، ممن فنيت نفقته وتقطعت به السبل؛ للوصول إلى بلده، والالتقاء بأهله، وما أعظم التلاحم بين أبناء المسلمين، على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم، وتعدد لغاتهم، وتفرق أوطانهم، حيث تتجسد صور الإخاء، وجمع الشمل للمسافر العابر، وذلك بإيناس وحشته، وإكرام نزله، والقيام بحق ضيافته، وتخفيف آلام غربته، وتسهيل وصوله إلى مقصوده؛ لتنقشع عنه الغاشية، وتنفكّ عنه الفاجعة، إنه شعور المجتمع بالوحدة التامة، والحمية الدينية لأبناء المجتمع الإسلامي في أنحاء المعمورة، فما أعظم حق ابن السبيل، وما أحظّ من يسّر سبيله، نجدةً وإغاثة، رغبة فيما عند مولاه، وطمعاً بلقاه.

قال المفسر السعدي (ت:١٣٧٦هـ): ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على إعطائه من المال ما يعينه على سفره؛ لكونه مظنة الحاجة وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته وخوّله من نعمته أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة على حسب استطاعته، ولو بتزويده أو إعطائه آلة السفر، أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها"[١].

الفرع الخامس: صنف السائلين:

كلمة (السائلين) بصيغة الجمع وردت في الكتاب المجيد ثلاث مرات، بينما (سائل) بالإفراد أربع مرات.

وهذا الموضع لـ (السائلين) الأول وروداً وترتيباً.

فـ (السائلين): جمع سائل، يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألة[٢].

والسائل: المستجدي الذي يطلب منك مد يد العون له. والسؤال علامة الحاجة غالباً؛ لأن شأن المرء أن تمنعه نفسه من أن يسأل الناس لغير حاجة غالباً[٣]، والسائل فقير؛ لذا كان إعطاؤه من البر؛ لأن معطيه يتصف بصفة الكرماء[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٣/ ١٢٤ (سأل)، ولسان العرب ١١/ ٣١٨ (سأل).

(٣) انظر: التحرير والتنوير ٢/ ١٣١.

(٤) انظر: تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين ٢/ ٢٧٧.

إن للسائل حقاً يستدعي التضامن معه، وسد حاجته، ورفع محنته، وإماطة بؤسه، وجمع ما تبعثر من أمره، وفتح الأمل له؛ ليمضي إلى قصده في قوة وعزيمة، حتى لا يعيش عالةً على سعي غيره، يريق ماء وجهه، ويتكفف الناس، أعطوه أو منعوه.

إن أقوات البشر من الله، الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، وهذه اليقظة تدعو الموسر صاحب القلب الرؤوم إلى تفقد المحتاجين، وإجابة السائلين، ومواساة المحرومين، ممن تجرعوا غصص المحن، وعظيم الابتلاءات، هذا هو الدين في بنائه الإنساني، الفردي والاجتماعي، يعنى بتزكية العواطف النبيلة، وتعزيز القيم الكريمة، وتحقق السلم والأمان، والرخاء والاستقرار.

في البذل والعطاء بالمال والطعام للسائل العائل، الذي اشتد عليه شظف العيش، وتراكم الديون، وثقل الشدائد، استشعار من البار المتقي، بحق الأخوة، وتسامي الروابط، وصلة الدين، وما عند الله خير وأبقى، وأجزل وأوفى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

إن من عرضت له جائحة من الجوائح توجب السؤال، وطلب الناس، كمن ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة فرضت عليه، أو سأل لأجل تعمير المصالح العامة من مساجد ومدارس ومواصلات، فله الحق وإن كان غنياً[1].

يقول ابن عثيمين (ت:١٤٢١هـ) عند تعداده لفوائد الآية الكريمة: "ومنها: أن إعطاء السائل من البر، وإن كان غنياً؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾.

فإذا قال قائل: إذا كان مؤتي المال للسائلين من أهل البر، فكيف يتفق، والتحذير من سؤال الناس؟

فالجواب: أنه لا معارضة؛ لأن الجهة منفكة؛ فالممدوح: المعطي، والمحذَّر: السائل المعطى؛ فإذا انفكت الجهة فلا تعارض؛ فلو رأيت مبتلى بهذه المهنة – وهي مهنة سؤال الناس – فأعطه إذا سألك، ثم انصحه، وحذره؛ لتكون مؤتياً للمال، وناصحاً للسائل؛ لأن بعض الناس – والعياذ بالله – نعلم علم اليقين – أو يغلب على الظن المؤكد – أنه غني، وإنما سأل الناس تكثراً، وقد ثبت عن النبي – عليه الصلاة والسلام – أن: "من سأل الناس

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل، أو ليستكثر"[1]، وأن "ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعَة لحم"[2][3].

الفرع السادس: صنف الرقاب:

جاء لفظ (الرقاب) بصيغة الجمع في القرآن ثلاث مرات، و(رقبة) بصيغة الإفراد ست مرات.

و(الرقاب) هنا أول مواضعها المذكورة.

والرقاب: جمع رقبة، وهي في الأصل العنق، وهي جزء من الجسد يصل الرأس بالجسم[4]، واشتقاقها: من المراقبة، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم، ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال: أعتق الله عنقه، لأنها لما سميت رقبةً كانت كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رقُوب، لأجل مراعاتها موت ولدها.

والرقبة: المملوك، من تسمية الكل باسم البعض[5].

وقد جرى خلاف بين المفسرين في المراد بالرقاب في الآية على أربعة أقوال:

القول الأول: أنهم المكاتبون[6] يعطون نصيباً من المال، يعانون به على فك رقابهم، وهو مروي عن علي بن أبي طالب[7] (ت: ٤٠هـ) – رضي الله عنه –، وابن عباس[8] (ت:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس ٧٢٠/٢، رقم: (١٠٤١)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً ٥٣٦/٢، رقم: (١٤٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ٧٢٠/٢، رقم: (١٠٤٠)، كلاهما من حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما –.

(٣) تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – ٢٨٩/٢.

(٤) انظر: لسان العرب ٤٢٨/١ (رقب)، وموسوعة الألفاظ القرآنية ص ٣٤٤.

(٥) انظر: العين ص ٣٦٣ (رقب)، وتهذيب اللغة ١٢٨/٩ (رقب)، ومقاييس اللغة ٤٢٧/٢ (رقب)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٣٦١ (رقب)، والبسيط ٥٢١/٣، والمغرب ص ١٩٥.

(٦) المُكَاتب: بفتح التاء، العبد الذي اشترى نفسه من سيده بمالٍ يؤديه على نجوم، فإن سعى وأداه عُتق. انظر: أنيس الفقهاء ص ٦١، ومعجم لغة الفقهاء ص ٤٥٥.

(٧) انظر: النكت والعيون ٣٧٦/٢، وزاد المسير ١٦٢/١.

(٨) انظر: البسيط ٥٢٠/٣، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٢١١/٣، وزاد المسير ١٦٢/١.

٦٨هـ) – رضي الله عنهما –، وبه قال سعيد بن جبير[١] (ت: ٩٥هـ)، والحسن[٢] (ت: ١١٠هـ)، والزهري [٣] (ت: ١٢٤هـ)، ومقاتل بن حيان[٤] (ت: في حدود ١٥٠هـ)، وأبو حنيفة[٥] (ت: ١٥٠هـ)، وهو قول الليث بن سعد[٦] (ت: ١٧٥هـ)، والشافعي[٧] (ت ٢٠٤هـ)، ورواية عن أحمد[٨] (ت:٢٤١هـ)، وهو قول الجمهور الأعظم من المفسرين[٩].

ويستدل له:

١– بقول الحق تبارك وتعالى﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾[١٠]. قالوا﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾هو المذكور في قوله هنا﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾[١١].

٢– وحديث البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: جاء أعرابي إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال: يا رسول الله، علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال: "لئن كنت أقصرت الخُطبة، لقد أعرضت المسألة[١٢]، أعتِق النسمة، وفُكَّ الرقبة". فقال: يا رسول الله، أوليستا واحدة؟ قال: "لا، إن عتقَ النسمة أن تَفَرَّد بعتقها، وفكَّ الرقبة أن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩٠، رقم: (١٥٥٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/٥٢٤، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/٥٢٤، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩٠، وانظر: معرفة السنن والآثار ٩/٣٣٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩٠، رقم: (١٥٥٩).

(٥) انظر: بدائع الصنائع ٢/١٥٣.

(٦) انظر: المجموع ٦/١١٨، وتيسير البيان ٢/٩٠٣.

(٧) انظر: الأم ٢/١١٣، ومعرفة السنن والآثار ٩/٣٣٦.

(٨) انظر: رؤوس المسائل في الخلاف ١/٣١٦، والمغني ٦/٣١٩، والكافي ٢/١٩٩.

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء ١/٤٤٢، وجامع البيان ١١/٥٢٣، وتهذيب اللغة ٩/١٢٩ (كتب)، والكشف والبيان ٢/٥٢، والهداية ١/٥٦١، وأحكام القرآن للكيا الهراسي ٣/٢١١، والمجموع ٦/١١٨، والتيسير في التفسير ١/٣٤.

(١٠) سورة النور: ٣٣.

(١١) انظر: العذب النمير ٥/٢٣٨٨.

(١٢) قوله: »أقصرت الخطبة« أي: جئت بها قصيرة، و»أعرضت المسألة« أي: جئت بها عظيمة واسعة. انظر: شرح السنة ٩/٣٣٥، والنهاية في غريب الحديث ٤/٧٠.

تُعين في عتقها..."[1].

القول الثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، وهو مروي عن ابن عباس[2] (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنه –، وبه قال مالك بن أنس[3] (ت:١٧٩هـ)، وأبو عبيد[4] (ت:٢٢٤هـ)، وأبو ثور[5] (ت:٢٤٠هـ)، ورواية عن أحمد[6] (ت:٢٤١هـ).

القول الثالث: أنه فداء الأسارى[7].

القول الرابع: العموم في الجميع.

قال ابن العربي (ت:٥٤٣): "والصحيح عندي أنه عام"[8]، وممن قال بالعموم ابن عطية (ت:٥٤٦) حيث يقول: "﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: يراد به العتق، وفك الأسرى، وإعطاء أواخر الكتابات"[9]، واستظهر أبو حيان القول بالعموم في الأصناف الثلاثة[10]. ومن القائلين بالتعميم الألوسي[11] (ت ١٢٧٠هـ)، وعبدالقادر بدران[12] (ت:١٣٤٦هـ)، والسعدي[13] (ت:١٣٧٦هـ)، والقول بالعموم أظهر لدى الباحث وأمتّ، حيث إن ما ورد من الأقوال الثلاثة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٠، ٦٠٠، رقم: (١٨٦٤٧)، وقال محققو مسند أحمد: »إسناده صحيح، رجاله ثقات«، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل من يصل ذا الرحم الظالم ٣٩/١، رقم: (٦٩)، وابن حبان في صحيحه – بترتيب ابن بلبان –، ٩٧/٢، رقم: (٣٧٤)، والبغوي في شرح السنة ٣٥٤/٩، رقم: (٢٤١٩).

(٢) انظر: النكت والعيون ٣٧٦/٢، وزاد المسير ١٦٢/١.

(٣) انظر: النكت والعيون ٣٧٦/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٦٨/١، وأحكام القرآن لابن الفرس ١٧٢/٣.

(٤) انظر: الأموال ٢٩١/٢، وزاد المسير ١٦٢/١، والمجموع ١١٨/٦.

(٥) انظر: زاد المسير ١٦٢/١، والمجموع ١١٨/٦.

(٦) انظر: زاد المسير ١٦٢/١، وتيسير البيان ٩٠٣/٢، والمجموع ١١٨/٦، وقد رجع الإمام أحمد عن هذا القول، حيث قال: »كنت أقول ذلك وحنثت عنه« رؤوس المسائل في الخلاف ٣١٦/١.

(٧) انظر: الكشف والبيان ٥٢/٢، والبسيط ٥٢١/٣، والتفسير الكبير ٢١٨/٢، والبحر المحيط ٨/٢.

(٨) أحكام القرآن ٦٨/١.

(٩) المحرر الوجيز ٢٤٣/١.

(١٠) انظر: البحر المحيط ٨/٢.

(١١) انظر: روح المعاني ٤٧/٢.

(١٢) انظر: جواهر الأفكار ص ٤٧٢.

(١٣) انظر: تيسر الكريم الرحمن ص ٨١.

ما هو إلا اقتصار على بعض أفراد العام، وعليه فكل هذه التفاسير مرادة هنا؛ توسيعاً لدائرة اللفظة؛ ولتبقى الكلمة سارحة في معانيها العديدة، ومدلولاتها المختلفة.

إن من مسالك البر الجليلة، وكمالاته النبيلة: فك الرقاب بمفهومه الشامل لأي نوع من أنواعه المتقدمة. إن عن طريق معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم، أو تخليص الأسرى من أيدي العدو بفدائهم، أو شراء الأرقاء لوجه الله وعتقهم. وفي ذلك إنقاذ لهم وإسعاد حتى ينعموا بالحرية التامة. لقد هدف الإسلام إلى تحرير الرق، وتوسع في أساليب العتق؛ إرساء لمبدأ التحرير الإنساني، والتكريم الإلهي.

إن المساعدة المالية لفكاك الأرقاء، وفداء الأسارى، مما يتشوَّف له الدين الحنيف، الذي يسعى لإزالة مظاهر الرق والعبودية عن بني البشر، والتخلص من ربقة المهانة التي تذل النفوس، وتنكس الرؤوس.

لقد جعل الله تعالى فك الرقاب من أبرّ الأعمال وأحبها إليه، كما أن السعي في كسر قيودهم أحد صور التكافل الاجتماعي، والنظرة التعاونية بين المسلمين، ومن أراد أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة، فليعتق رقبة.

عن أبي هريرة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: "من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضوٍ منه عضواً من النار، حتى فَرْجَه بفرجه"[1].

المسألة الثانية: إقام الصلاة:

ورد لفظ (الصلاة) المحلاة بالألف واللام في القرآن الكريم سبعاً وستين مرة. وهذا الموطن السابع حسب ترتيب الورود.

والصلاة في اللغة: اسم مصدر، ويأتي على عدة معانٍ، أشهرها:

١- الدعاء، وهو أصل معانيها[2].

٢- اللزوم، يقال: قد صَليَ واصطَلَى: إذا لزم، ومن هذا من يُصلَى في النار، أي: يُلزَم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب كفارات الأيمان، باب قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]. وأي الرقاب أزكى، ٦/٢٤٦٩، رقم: (٦٣٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب فضل العتق، ٢/١١٤٧، رقم: (١٥٠٩).

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٣/٣٠٠ (صلى)، وحلية الفقهاء ص ٣٩، والصحاح ٢/٧٤٦ (صلا).

النار[1].

٣ – التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاةً؛ لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس[2].

٤ – الصَّلَوين، وهما مُكتَنِفا الذَّنَب من الناقة وغيرها، وأول موصِلِ الفخِذين من الإنسان، فكأنهما في الحقيقة مكتِفا العُصْعُص[3].

والصلاة شرعاً: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم[4]، وثمت صلة وشيجة بين المعنى اللغوي المعجمي والمعنى الشرعي، فالمذكورات من جزئيات المعاني اللغوية: الدعاء، واللزوم، والتعظيم، والصلوين، قد اشتمل عليها المعنى الشرعي، من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه.

فالصلاة: تشتمل على الدعاء كحقيقة شرعية موجودة فيه بكثرة.

والصلاة: لزوم ما فرضه الله تعالى، والصلاة من أعظم الفرض الذي أُمر بلزومه.

والصلاة: تعظيم الرب تعالى وتقدس.

والصلاة: إن كانت مأخوذة من (الصَّلَوين)، وهما موضعان في الإنسان يقوم عليهما الركوع والسجود، فإنه لا ركوع ولا سجود بلا تحريك لهما، فأخذ اسم الصلاة منهما، كما أخذ اسم البيع من (الباعَين)؛ لأن كل واحد من المتبايعين يمد باعَهُ للأخذ والإعطاء[5].

فاقتضاء المورد اللغوي وتناسبه مع المعنى الشرعي ظاهر متصل لا انفصام بينهما.

إن من خصال البر العظمى، ومقاصده الكبرى: إقامة الصلاة على وجهها الشرعي، وفق معالم الكتاب الكريم، ومنهاج السنة الزكية، فالصلاة لها المحل الأسمى في الدين، والمنزلة العلية، والمرتبة السنية، فهي ركن الملة، وعمود الإسلام، والفاصل بين الكفر

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٢٣٧/١٢ (صلى)، ولسان العرب ٤٦٥/١٤ (صلا).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ٥٠/٣ (صلا)، ولسان العرب ٤٦٦/١٤ (صلا).

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٢٣٧/١٢ (صلى).

(٤) انظر: الروض المربع ص ٦٠.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٢٣٧/١٢ (صلى)، والنهاية في غريب الحديث ٥٠/٣ (صلا)، والمغني ٥/٦، والصلاة ص ١٢، والصلاة في القرآن ص ١٠.

والإيمان.

من أدى حقها بحضور قلبٍ وروحانيةٍ، وتنصلٍ من الدنيا وشواغلها، وإتمام ركوعها وسجودها، وتكميل خشوعها، واستحضار معانيها، وإيقاعها على أكمل أحوالها، وأحسن وجوهها؛ مهابة لله وتوقيراً، وانكساراً وخضوعاً، كانت قرة عينه، ولذة قلبه، وانشراح صدره، وأنس دنياه.

بإقامة الصلاة التامة الكاملة، يرتفع المرء لأعلى الدرجات، ويتحلى بجميل مكارم الأخلاق، وتزكى نفسه لأكمل الفضائل والأعمال، وكانت صوناً له عن أودية المخالفات والأوضار، ومصائد الهوى والآثام، ومسالك الردى وخطوات الشيطان.

إن القيام بعمود الإسلام التي هي فواتح الخير وخواتمه على خير وجه، دليل الفلاح، ومصدر السعادة، وإشراق السكينة، وحسن العاقبة، والفوز بوعد الآخرة، وتقريب المولى ورضاه.

إن الأمر بالصلاة بأسلوب الإقامة في عرض آي التنزيل، يعني مزيد العناية والإتمام على مجرد أداء الظاهر فحسب.

يقول الراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ): "ولم يأمر تعالى بالصلاة حيثما أمر، ولا مدح لها حيثما مدح إلا بلفظ الإقامة؛ تنبيهاً على أن المقصود منها توفية شرائطها لا الإتيان بهيئاتها"[١].

وقال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): "فلن تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقروناً بإقامتها، فالمصلون في الناس قليل، ومقيم الصلاة منهم أقل القليل"[٢].

عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – قال: "إقامة الصلاة: تمام الركوع والسجود، والتلاوة، والخشوع، والإقبال عليها فيها"[٣].

إن ذكر إقامة الصلاة؛ لأنها الركن الركين للبر، والعمود الفقري في بناء الفرد والمجتمع، وإنما البر والتقوى في سر الصلاة وروحها الذي تصدر عنه آثارها، من النهي عن

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٩٣.

(٢) الصلاة وحكم تاركها ص ١١٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤٨/١.

الفحشاء والمنكر، وإصلاح النفوس وتطهيرها، وقلب الطباع السقيمة، والاستعاضة عنها بالخصال المستقيمة[1].

المسألة الثالثة: إيتاء الزكاة:

جاءت ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معرفة بالألف واللام في تسع وعشرين موطناً قرآنياً، ومنكرة ﴿زَكَوٰةً﴾ في ثلاثة مواطن.

وقد جاء لفظ (الزكاة) مقترناً بالصلاة في ستٍّ وعشرين آية، ومنفرداً عنها في ستِّ آيات، كما ذكرت (الزكاة) مقرونة بإقامة الصلاة في أربعةٍ وعشرين موضعاً، ومن غير اقترانٍ بإقامة الصلاة في موضعين.

وهذا الموضع الرابع لـ (الزكاة) حسب ورودها.

والزكاة: اسم من الفعل: زكا، يزكو، والمصدر منه: زكاءً، وزكوّاً[2].

"وأصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية. يقال: زَكا الزرع يَزْكُو: إذا حصل منه نموٌّ وبركة"[3].

فالأصل في تسميتها: ما فيها من النماء والزيادة؛ لأنها مما يُرجى به زيادة المال ونماؤه وبركته، وتطلق الزكاة ويراد بها: الطهارة، وكلا المعنيين متحقق فيها، كما أن الخيرين موجودان فيها، فيزكو بها المال بالبركة والنماء والوقاية من الآفات، ويطهر بها المرء بالمغفرة[4].

وقد تعددت عبارات فقهاء المذاهب في تعريفها، مع تقاربها، واتفاقها على العناصر الرئيسة، وأقربها أنها: "اسم صريح لأخذ شيءٍ مخصوص، من مالٍ مخصوص، على أوصافٍ مخصوصةٍ، لطائفةٍ مخصوصةٍ"[5].

---

(١) انظر: تفسير القرآن الحكيم ٢/ ٩٤.

(٢) انظر: العين ٣٩٢ (زكو)، وإصلاح المنطق ص ١٥٧، وجمهرة اللغة ٢/ ٨٢٥ (زكو).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٠.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ١٠/ ٣١٩ (زكا)، ومقاييس اللغة ٣/ ١٧ (زكى)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٣٨٠، وطلبة الطلبة ص ٩١، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٠٧ (زكا)، وفتح الباري ٣/ ٣٠٩، ومجمع بحار الأنوار ٢/ ١٤٣ (زكي).

(٥) الحاوي ٣/ ٧١، وانظر: المجموع ٥/ ٢١١.

إن الزكاة الشرعية قرينة الصلاة المفروضة، وإيتاء الزكاة الواجبة من أعلى أنواع البر، وأحد مبانيه العظام، التي ذكرها الله تعالى في سياق الآية ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1].

فالزكاة مرقاة الإيمان، وثالث أركان الإسلام، وهي عبادة مالية، تؤخذ من الأغنياء بقدرٍ معلومٍ، في أجلٍ موقوتٍ، وتصرف فيمن أوجب الله تعالى صرفها إليهم من الأصناف الثمانية المذكورين في آية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

فمن أجل خصائص أهل البر: ما يتقربون به ابتغاء وجه الله تعالى من إيتاء الزكاة

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير احتمالية أن يكون المراد بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: زكاة النفس، وتخليصها من الأخلاق الذميمة الرذيلة. انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥٢.

والظاهر خلاف ذلك. وأن المراد بها زكاة المال، وهي الزكاة الشرعية؛ لما يأتي:

٢. أن الزكاة هنا اقترنت بالصلاة، وقد ورد عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه قال: »والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال...«.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، وقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٤٣]، ٢/ ٥٧، رقم: (١٣٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله... ١/ ٥١، رقم: (٢٠). فذكر الصديق الصلاة مع الزكاة؛ لأنها قرينتها في كتاب الله تعالى.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: »إن الله تعالى قرن الزكاة في كتابه مع الصلاة، فمن لم يُزَكِّ فلا صلاة له«. انظر: الشريعة ٢/ ٥٩٤.

٣. أن ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لفظ قرآني، وهو من المصطلحات الشرعية، لا يصرف عن ظاهره إلا بدليلٍ، والقاعدة: »أن ظاهر القرآن لا يجوز العدول عنه إلا بدليلٍ يجب الرجوع إليه« أضواء البيان ٤/ ٤٤١.

٤. أن اقتران لفظ (الإيتاء) وهو: الإعطاء بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يؤكد أن المراد زكاة الأموال.

٥. أن جمهور المفسرين على خلاف هذا، فالزكاة عندهم محمولة على الحقيقة الشرعية.

يقول القاسمي: »وقد أبعد من حمل الزكاة – هنا – على زكاة النفس، وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة... ووجه البعد: أن الزكاة المقرونة بالصلاة في التنزيل لا يراد بها إلا زكاة المال، وأما مع الانفراد فعلى حسب المقام«. محاسن التأويل ١/ ٤٣٣. وانظر: تفسير مقاتل ١/ ٩٣، وجامع البيان ٣/ ٨٣، وتفسير السمرقندي ١/ ١٨٠، وتفسير القرآن لابن أبي زمنين ١/ ١٩٧، ومعالم التنزيل ١/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٣، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٦٠، وأنوار التنزيل ١/ ١٠٢، ولباب التأويل ١/ ١٠٦، والبحر المحيط ٢/ ٨.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

لمستحقيها، طيبة بها نفوسهم، في سموٍّ أخوي، وعلاقة يسودها الحنو على المسلمين، وتحقيق الضمان والتكافل الاجتماعي، والتقارب الإنساني، والتناصر والتحابب القلبي، وتحسين أوضاع المحتاجين، وإجابة سؤل السائلين، في رباطٍ وثيقٍ متجدِّدٍ، وشعورٍ بالوحدة غير متجزئ، وهذا تعبير عملي، ومشهد حي، عن نزعهم الدنيا وملذاتها، وتطهيرهم القلوب من أوساخها.

إن ما اختزنه المرء من ثروةٍ غادٍ ورائح، وسيذهب المعدود والمحدود، والمال مال الله، وقد ردوا ما استودعهم إياه، واستخلفهم فيه، فمدهم بفضله ورحماته، ونالوا خيره وبركاته، ووسع عليهم في أرزاقهم وأقواتهم، وعوضهم من جوده وكريم عطائه، فهنيئاً لهم مضاعفة أجورهم، والنور الذي يملأ شعاب قلوبهم.

إن إفراد إيتاء الزكاة بالذكر مع دخوله في إيتاء المال؛ لتنوع المقام، فالأول: فيه إثارة للنفس على الإنفاق من فواضل الصدقات من غير ما وجوب، والمِدحة بالكرم والجود، والثاني: في بيان الركن المفروض، فكان الأول تمهيداً للزوم الثاني؛ لذا اختلفا ترتيباً بحسب اختلاف القصدين.

يقول أبو حيان (ت:٧٤٥هـ): "فلما كان ذلك – أي إيتاء المال لمن سبق من المحتاجين – من شيمهم الكريمة، جعل ذلك من البر الذي ينطوي عليه المؤمن، وجعل ذلك مقدمة لإيتاء الزكاة، يحرض عليها بذلك، إذ من كان سبيله إنفاق ماله على القرابة، واليتامى، والمساكين، وإيتاء السبيل، على سبيل المكرمة، فلأن ينفق عليه ما أوجب الله عليه إنفاقه من الزكاة التي هي طُهرته، ويرجو بذلك الثواب الجزيل عنده، أوكد وأحب إليه"[1].

المطلب الثالث: البر في الخلُق

وتحته مسألتان:

المسألة الأولى: الوفاء بالعهد:

وردت كلمة (عهد) وما تصرف منها ثلاثاً وأربعين مرة في كتاب الله تعالى.

وكلمة (عهدهم) وردت ست مراتٍ، وهنا أول مواطن ورودها.

---

(١) البحر المحيط ٢/٩.

وكلمة (عاهدوا) جاءت أربع مراتٍ، وهو ثاني مواطن ورودها.

(والموفون): اسم فاعل جمع مذكر سالم، و(وَفَى): كلمة تدل على إكمالٍ وإتمامٍ، منه الوفاء: وهو الخلق الشريف العالي الرفيع، الذي يعني إتمام العهد وإكمال الشرط[1]، ووَفَى بعهده يفي وفاءً، وأوْفَى: إذا تمم العهد ولم ينقُص حفظه، وهو ضد الغدر، ووَفَى وأوْفَى بمعنى[2]، وقد جمع بين اللغتين طُفَيل الغنوي في بيت واحدٍ في قوله:

أما ابنُ طَوْقٍ فقد أوْفَى بذِمَّته   كما وَفَى بِقِلاص النَّجْمِ حاديها[3]

والعَهْد: حفظُ الشيء ومراعاتُه حالاً بعد حالٍ، وسُمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً[4]. وكل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، وجمعه: عهود[5].

من الأخلاق العالية، والفضائل الزاكية، التي امتدح الله تعالى بها أهل البر الخيرة: الوفاء بالعهد، فبه تصان حقوق الله، وحقوق الناس، وعلاقة المرء بربه الديَّان، وعلاقته بالبشر أجمعين، وبهذا الوفاء تظهر الديانة، ومدى القوة الإيمانية.

والعهد على قسمين:

القسم الأول: عهد مع الله – تبارك وتعالى – ومنه العهد الذي أخذه الله على بني البشر جميعاً، والمبين في آية الإشهاد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[6].

---

(1) انظر: الزاهر ٢/ ٢٤٠، ومقاييس اللغة ٦/ ١٢٩ (وفى)، ولسان العرب ١٥/ ٣٩٨ (وفى)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن ص ٨٤٣.

(2) انظر: الصحاح ٢/ ١٨١٩ (وفى)، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٨٧٨ (وفى).

(3) البيت في ديوانه ص ١٤١، والزاهر ٢/ ٢٤٠، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٨٢٩، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ١٨٠، وحادي النجوم: هو من النحوس عندهم. انظر: المصدر السابق.

(4) مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٩١ (عهد).

(5) انظر: العين ص ٦٩١ (عهد)، وجمهرة اللغة ٢/ ٦٦٨، وجواهر الألفاظ ص ٣٠٨، ولسان العرب ٣/ ٣٢١ (عهد).

(6) سورة الأعراف: ١٧٢.

ومنه: العهد بعبادته وحده سبحانه دون ما سواه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[1].

ومنه: العهد الذي أمرنا فيه باتباع شرعه، والانقياد لأمره، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2].

قال القرطبي المفسر (ت:٦٧١): "وما طُلب من هؤلاء من الوفاء بالعهد هو مطلوب منا"[3].

"فالعهد الذي عهد الله به إلينا، أن نؤمن به رباً، فنرضى بشريعته، بل بأحكامه الكونية، والشرعية، هذا العهد الذي بيننا، وبين ربنا"[4].

فهذا هو العهد الأول: الإيمان بالله – جل وعز – وطاعته كما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر.

القسم الثاني: عهد مع الناس، وهو متنوع غير محصور، من مثل ما يبرمه الناس بينهم من الالتزامات، والحقوق الإنسانية، من عقود الإجارة، والبيع، والنكاح، وغير ذلك من العهود المرضية عند الله تعالى، مما يوافق شرعه، ويدخل في العهود كذلك ما يكون بين الدول من الاتفاقات والمواثيق، ما لم يخالف تعاليم الشرع الحنيف، فإنه يجب الوفاء به والتزامه. وهذه القيمة الإنسانية والأخلاقية تدعم الثقة بين الأفراد، وتحقق التآلف؛ ويتولد عنها توثيق أواصر التعاون بين المجتمع؛ لوفائهم بمسئولياتهم الاجتماعية.

وقد بينت السنة الشريفة أن الإخلال بالعهد، وترك الوفاء به من صفات المنافقين، فعن عبدالله بن عمرو: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤْتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[5].

---

(١) سورة يس: ٦٠ – ٦١.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٣) الجامع لحكام القرآن ٨/٢.

(٤) تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين ٢٩١/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ٢١/١، رقم: (٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ٧٨/١، رقم: (٥٨).

ولئن كان الوفاء بالعهد عظيماً في قدره وبنائه، فهو واسع في مدلوله ومفهومه، والآية هنا عامة لقسمي العهود، فيجب الوفاء بكل أنواع الحقوق، والالتزام بتحقيقها، دون اقتصارٍ على بعضٍ منها، فتشمل حقوق الخلاق العليم، وحقوق الخلق، فهم الذين "إذا واعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا وفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا"[١].

قَوْمٌ إذا عَقَدوا عَقْداً لجارِهِمُ شَدُّو العِنَاجَ وشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبَا[٢]

يقول السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "والعهد: هو الالتزام بإلزام الله، أو إلزام العبد لنفسه، فدخل في ذلك حقوق الله كلها؛ لكون الله ألزم بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدتها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالإيمان والنذور، ونحو ذلك"[٣].

والموفون بعهدهم عقلاء البشرية، وأصحاب العقول الراجحة ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤].

ويكفيهم شرفاً أنهم أهل البر والتقى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]. ولهم العقبى في الدار الآخرة بدخول الجنة ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ

---

(١) التفسير الكبير ٢/ ٢١٩.

(٢) القائل: الحطيئة، والبيت في ديوانه ص ١٦، من قصيدةٍ يمدح فيها قومه، حيث عقدوا لجارهم عهداً، فوفوا به، ولم يُخفروه.

والعقد: الحبل، والعِناج: حبل يشد في أسفل الدلو – إذا كانت ثقيلة –، حيث يمنع من سقوطها في البئر إذا انقطع الحبل الأصلي، والكَرب: حبل يشد على طرف العرقوة والعناج ليربطهما؛ حتى لا تقع الدلو.

وفي هذا البيت يشبِّه الشاعر حال قومه في توثيق العهد بوجوهٍ متنوعة، بحال من يوثق الدلو بحبال متعددةٍ، أو شبَّه حال عهدهم في وثاقته الزائدة، بحال الدلو الموثقة. انظر: شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت ص ٣٥، وأبي سعيد السكري ص ١٦، وفتوح الغيب ٢/ ٨٣، ومشاهد الإنصاف المطبوع مع الكشاف ٢/ ١٩٠، وانظر: الصحاح ١/ ٤٣٢ (عقد)، ١/ ٣٠٢ (عنج)، ١/ ٢١٤ (كرب).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٨١.

(٤) سورة الرعد: ١٩.

(٥) سورة آل عمران: ٧٦.

﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وإيثار صيغة اسم الفاعل ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ دون الفعل (أوفوا)؛ لأن الفضيلة في الوفاء: ديمومة صفته، لا أن يكون فعلاً ثم ينقطع[2].

ويتجلى إبداع السياق القرآني وبلاغته، في تقييد الوفاء بالعهد بالظرفية: ﴿إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ مع أنه يتحقق المعنى فيما لو قيل: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾، لكن ذكره يصور معنى أعمق، فهو يفيد سرعة وفائهم بالعهد عقب عقده مباشرة، ومبادرتهم إلى الوفاء به، وعدم تأخرهم[3].

المسألة الثانية: الصبر في مجالاته الثلاثة: (البأساء، الضراء، حين البأس)، وتحته أربعة فروع

تمهيد:

ورد (الصبر) وما تصرف منه في النبأ العظيم سبعاً وثمانين مرة، بينما وردت كلمة (الصابرين) خمس عشرة مرة، وهنا ثالث مواطن ورودها حسب الترتيب.

والصبر في اللغة يأتي على عدة معانٍ منها:

١. الحبس والمنع، ومنه قولهم: قُتِلَ صَبْراً، أي حُبس حتى قتل، ويقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي: حبَسْتُها[4]، قال عنترة:

فصَبَرْتُ عارفةً لذلك حُرَّةً ... تَرْسُو إذا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ[5]

والصبر: إمساك في ضيقٍ، وضده الجزع، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجُبْنُ، وإن كان في نائبةٍ

---

(١) سورة الفتح: ١٠.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم ١/ ١٩٤، وزهرة التفاسير ١/ ٥٢٨.

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة ١/ ٢١٠، والتحرير والتنوير ٢/ ١٣١.

(٤) انظر: الاشتقاق ص ١٢٦، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٢٩ (صبر).

(٥) انظر: شرح ديوان عنترة ص ٩٥، يقول: فصبرتُ عارفةً لذلك: أي: حبست نفساً عارفةً لذلك، يريد نفسه، وهي نفس حر يأنف لا نفس عبدٍ لا أنفة له. والعارفة: الصابرة، أي: تصبر للشدائد ولا تنكرها. وترسو: أي: تثبت وتستقر ولا تطلع إلى الحلق فزعاً وجبناً كما تطلِع نفس الجبان وتضطرب. انظر: شرح ديوان عنترة ص ٩٦، وعدة الصابرين ص ١٥.

مُضْجِرةٍ سمي رَحْبَ الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك كلامٍ في الضمير سمي كتمان السر، ويضاده الإفشاء، وإن كان في الإمساك عن فضولات العيش سمي قناعة وزهداً، وهذا يضاده الحرص والشره[1].

٢. الشدة والقوة، فإذا لقي الرجل الشدة بكمالها، قيل: لقيها بأصبارها، والصُّبرة من الحجارة: ما اشتد وغلظ، ومنه قول العرب: وقع القوم في أمّ صَبُّور، إذا وقعوا في أمرٍ عظيمٍ شديدٍ[2].

٣. الجمع والضم، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع، ومنه: الصُّبرة: وهي ما جمع من الطعام بلا كيلٍ ولا وزنٍ بعضه فوق بعض، والصُّبرة: الحجارة الغليظة المجتمعة[3].

والمعاني الثلاثة: المنع، والشدة، والضم، مجتمعة في الصبر[4].

والصبر اصطلاحاً: عُرف بتعريفاتٍ كثيرة، من أوضحها وأدلها على المقصود: ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الشهوة والطبع[5].

وقيل: "حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"[6].

الفرع الأول: الوجه الإعرابي المشكل في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

يلحظ أن قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ جاء منصوباً مع أنه في الظاهر معطوف على مرفوع، وللمعربين في إعرابها وجهان من التأويل:

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٧٤ (صبر)، والذريعة ص ٢٢٤، وعمدة الحفاظ ٣٧٤/٢ (صبر)، والكليات ص ٥٦٠.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٣٣٠/٣ (صبر)، ولسان العرب ٤٤٠/٤ (صبر).

(٣) انظر: الصحاح ٥٧٦/١ (صبر)، ولسان العرب ٤٤١/٤ (صبر).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ١٨.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين ٥٥/٤، وعدة الصابرين ص ٢٧.

(٦) مدارج السالكين ١٦٣/٢.

التأويل الأول:

ذهب الإمام الكسائي[1] (ت: ١٨٩هـ)، والأخفش[2] (ت: ٢١٥هـ)، إلى أن ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ معطوف على ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

يقول الكسائي (ت: ١٨٩هـ): "يجوز أن يكون الموفون نسقاً على ﴿مَنْ﴾، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نسقاً على ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، كأنه قال: وآتى الصابرين[3]. واستشهد له بقراءة عبدالله: (والموفين، والصابرين)[4]، واستحسن هذا التأويل ابن قتيبة[5] (ت: ٢٧٦هـ).

وقد ضعف الزجاج[6] (ت:٣١١هـ)، والنحاس[7] (ت:٣٣٨هـ) هذا القول من جهة المبنى.

يقول النحاس (ت:٣٣٨هـ): "وهذا القول خطأ وغلط بيّن؛ لأنك إذا نصبت ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ونسقته على ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ دخل في صلة ﴿مَنْ﴾ من قبل أن تتم الصلة، وفرقت بين الصلة والموصول بالمعطوف"[8].

وضعفه الرازي (ت:٦٠٦هـ) من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن يكون التقدير: ولكن البر من آمن بالله وآتى المال على حبه ذوي القربى، والصابرين، فيؤدي نسق السياق إلى أن الصابرين من جملة من يؤتى المال، وهذا خلاف المراد، لأن المقصود أن أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم[9].

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢/ ٥٢، والبسيط ٣/ ٥٢٢، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٥٨.

(٢) انظر: معاني القرآن ١/ ٣٤٨.

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٨١، والبسيط ٣/ ٥٢٢، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٥٨.

(٤) انظر: مختصر في شواذ القرآن ص ١٨، وشواذ القراءات ص ٨٣، وإعراب القراءات الشواذ ١/ ٢٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٣/ ٥٨.

(٥) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٥٤.

(٦) انظر: معاني القرآن ١/ ٢٤٧.

(٧) انظر: إعراب القرآن ١/ ٢٨١.

(٨) إعراب القرآن ١/ ٢٨١، وممن ضعفه أبو علي الفارسي. انظر: البسيط ٣/ ٥٢٥، والواحدي في البسيط ٣/ ٥٢٢، والعكبري في التبيان ١/ ٧٨، والأنباري في البيان ١/ ١٤٠، والرازي في التفسير الكبير ٢/ ٢١٩.

(٩) انظر: التفسير الكبير ٢/ ٢١٩، ٢٢٠، والتأويل النحوي وأثره في الرازي ص ١٩٣ – ١٩٨.

التأويل الثاني:

أن (الصابرين) منصوب على المدح. وهو قول الجمهرة من النحويين والمفسرين كالخليل بن أحمد[1] (ت: ١٧٥هـ)، والفراء[2] (ت:٢٠٧هـ)، وأبي عبيدة[3] (ت:٢١٠هـ)، والطبري[4] (ت:٣١٠هـ)، والنحاس[5] (ت:٣٣٨هـ)، وأبي علي الفارسي[6] (ت:٣٧٧هـ)، والواحدي[7] (ت:٤٦٨هـ)، والكرماني[8] (ت: في حدود ٥٣٥هـ)، والزمخشري[9] (ت:٥٣٨هـ)، والباقولي[10] (ت:٥٤٣هـ)، وأبي الحسن النيسابوري[11] (ت:٥٥٣هـ)، والعكبري[12] (ت:٦١٦هـ)، والمنتجب الهمذاني[13] (ت:٦٤٣هـ)، وأبي حيان[14] (ت:٧٤٥هـ)، وابن كثير[15] (ت:٧٧٤هـ).

وقد عقد سيبويه (ت:١٨٠هـ) باباً فيما ينصب في التعظيم والمدح، ومثّل له بهذه الآية[16]، وهو يشير بذلك إلى أن من مذاهب العرب في كلامها: الرفع والنصب على المدح.

وهو المؤيد إعراباً ومعنى، حيث نصب (الصابرين) على المدح، وذلك جرياً على سنن العرب في كلامها، حيث تنصب على المدح وعلى الذم إذا طال الكلام بالنسق في صفة

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٢/ ٥٢.

(٢) انظر: معاني القرآن ١/ ١٠٥.

(٣) انظر: مجاز القرآن ١/ ٦٥.

(٤) انظر: جامع البيان ٣/ ٨٩.

(٥) انظر: إعراب القرآن ١/ ٢٨١.

(٦) انظر: البسيط ٣/ ٥٢٦.

(٧) انظر: المصدر السابق ٣/ ٥٢٥.

(٨) انظر: غرائب التفسير ١/ ١٩٥.

(٩) انظر: الكشاف ١/ ٣٦٧.

(١٠) انظر: كشف المشكلات ١/ ٢٥٨.

(١١) انظر: باهر البرهان ١/ ١٧١.

(١٢) انظر: التبيان ١/ ٧٨.

(١٣) انظر: الكتاب الفريد ١/ ٤٣٩.

(١٤) انظر: البحر المحيط ٢/ ١٠.

(١٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٥٣.

(١٦) انظر: الكتاب ١/ ٥٧ – ٥٨.

الشيء الواحد؛ لأنهم يريدون بذلك إفراد الممدوح والمذموم ولا يتبعونه بأول الكلام فينصبونه.

كما أدى النص كحركة إعرابية دوراً دلالياً في تفخيمه وتعظيمه وتمييزه لشأن (الصابرين)، وعلو منزلتهم. وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: (ت: في حدود ٥٢٥هـ): "ولما كان الصبر: من وجهٍ مبدأ الفضائل، ومن وجهٍ جامعاً للفضائل، إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ، غير إعرابه تنبيهاً على هذا المقصد"[١].

كما ناسب بعد تعداد الأحكام والتكاليف، الختم بهذه الصفة الممتدحة، وتمييزها عن سائر الأعمال بهذه الخصيصة في الحركة الإعرابية، تجسيداً لأخذ التكاليف والتعليمات بقوةٍ، وتحمل ما يستجد من بياناتٍ تشريعيةٍ، وأحكامٍ تفصيليةٍ أُخر، فجاء النظم الكريم لافتاً الأنظار لأسرار الإعجاز، وما تضمنه من دقيق المسلك، ولطف المأخذ.

الفرع الثاني: مجال الصبر في البأساء:

تنوعت عبارات المفسرين الأجلاء في بيان معنى ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ على أقوالٍ:

الأول: الفقر، قاله ابن مسعود[٢] (ت: ٣٥هـ) – في رواية –، وابن عباس[٣] (ت:٦٨هـ)، والضحاك[٤] (ت:١٠٥هـ) وهو قول الأكثرين[٥]. يقول الديريني (ت:٦٩٧هـ):

---

(١) انظر: البحر المحيط ٢/ ١٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/ ٨٦، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١، رقم: (١٥٦٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، من سورة البقرة، ٢/ ٢٩٩، رقم: (٢٩٩).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١، وانظر: البسيط ٣/ ٥٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/ ٨٧، وابن أبي الدنيا في الصبر ص ٤٩، رقم: (٥٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٩٤/١، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٧٠، وتفسير السمرقندي ١/ ١٨٠، والذريعة ص ٢٢٤، والكشف والبيان ٢/ ٥٣، والنكت والعيون ١/ ٢٢٧، والبسيط ٣/ ٥٢٨، وتفسير القرآن للسمعاني ١٧٢/١، والكشاف ١/ ٣٦٧، وباهر البرهان ١/ ١٧٠، ونفس الصباح ١/ ٢٠٢، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٤، وزاد المسير ١/ ١٦٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٢٢، وبهجة الأريب ص ٤١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٥٣، وتفسير ابن عرفة ١/ ٢١٠، وتفسير غرب القرآن لابن الملقن ص ٧٢، والتبيان لابن الهائم ص ١١٩، ونظم الدرر ١/ ٣٢٥، وروح المعاني ٢/ ٤٨.

وبَعْدُ في البَأسَاءِ: أي في الفقر[1].

الثاني: الحاجة[2]، قاله ابن مسعود (ت: ٣٥هـ) – في رواية –.

الثالث: الجوع[3]، قاله ابن مسعود (ت: ٣٥هـ) – في رواية –.

الرابع: البلاء، قاله الحسن[4] (ت: ١١٠هـ).

الخامس: البؤس والفقر[5]، قاله قتادة[6] (ت: ١١٧هـ) – في رواية –، وابن جريج[7] (ت: ١٥٠هـ).

السادس: البؤس، قاله قتادة[8] (ت: ١١٧هـ) - في رواية -.

السابع: الفاقة والفقر، قاله الربيع بن أنس[9] (ت: ١٣٩هـ).

وبعد إلطاف النظر وإمعانه فيما ورد من الأقوال، يستبين أن ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ واسع الإهاب من كثرة دلالاته، يجمع كل ما قيل فيه، فهو اسم من البؤس، الذي هو حلول الشدة والبلاء، والفقر، والفاقة، والحاجة، وتعميمه أولى من تحبيسه على بعض المعاني، أو حده بمدلولٍ معينٍ؛ ولذا يتلوح لك بعض مقصوده عند سوق معانيه.

الفرع الثالث: مجال الصبر في الضراء:

ذكر المفسرون في معنى (الضراء) هنا عدة أوجهٍ من التأويل:

الأول: المرض، قاله عبدالله بن مسعود[10] (ت: ٣٥هـ)، وابن عباس[11] (ت: ٦٨هـ)،

---

(١) التيسير في التفسير ٣٤/١.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٦/٣.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٦/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١، رقم: (١٥٦٤).

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٥٨، وروح المعاني ٤٨/٢.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٧/٣.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٧/٣.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٨/٣.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٨/٣، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١.

(١٠) أخرجه الطبري في جامع البيان ٨٦/٣، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١، رقم: (١٥٦٥).

(١١) ذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٩١/١، وانظر: البسيط ٥٨١/٣.

والضحاك[1] (ت:١٠٥هـ)، يقول ابن المنير (ت:٦٨٣هـ):

.... والمرض المُبرّح "الضَّرَّاءُ"[2]

الثاني: السُّقْم، قاله قتادة[3] (ت:١١٧هـ) ـ في رواية ـ.

الثالث: الزَّمانة في الجسد، قاله قتادة[4] (ت:١١٧هـ) ـ في رواية ـ.

الرابع: وجع، أو مرض يصيبه في جسده، قاله الربيع بن أنس[5] (ت: ١٣٩هـ).

الخامس: السُّقْم والوجع، قاله ابن جريج[6] (ت:١٥٠هـ).

السادس: البلاء، قاله مقاتل بن سليمان[7] (ت: ١٥٠هـ).

السابع: المرض، والزمانة، والضر، قاله ابن قتيبة[8] (ت:٢٧٦هـ)، يقول الديريني (ت:٦٩٧هـ):

.... وَبَعْدَهُ الضَّرَّاءُ أي: في الضُّرّ[9]

الثامن: المصيبة، قاله الراغب الأصفهاني[10] (ت: في حدود ٤٢٥هـ).

وبالنظر لمجموع هذه التأويلات، يلحظ أن جملة منها متقارب المعنى: كالمرض، والسقم، والزمانة، والوجع، وهي داخلة في معية الضر، والبلاء، والمصيبة، التي هي جماع ما تنوع من التأويل، وتنامى من المعاني، ولا تعارض بين العام والمثال.

وما أبدع ما أضافه تعدية الصابرين في البأساء والضراء بـ﴿ فِي ﴾ من دقة المعنى، ولطف المغزى؛ لأنه لا يمدح الإنسان على ذلك إلا إذا صار له الفقر والمرض كالظرف، وأما الفقر وقتاً ما، أو المرض وقتاً ما، فلا يكاد يمدح الإنسان بالصبر على ذلك؛ لأن ذلك قلّ أن

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٨٧، وابن أبي الدنيا في الصبر ص ٤٩، رقم: (٥٧).

(٢) التيسير العجيب ص ٣٨.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٨٧.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٨٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩١، رقم:(١٥٦٦).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٨٨، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ١/٢٩١.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٨٧.

(٧) انظر: تفسير مقاتل ١/٩٤.

(٨) انظر: تفسير غريب القرآن ص ٧٠.

(٩) التيسير في التفسير ١/٣٤.

(١٠) انظر: الذريعة ص ٢٢٤.

يخلو منه أحد[١].

الفرع الرابع: مجال الصبر حين البأس:

يراد بـ ﴿ٱلْبَأْسِ﴾ ههنا: القتال، فقد أمر الله تعالى بالصبر وقت شدة القتال في الحرب، وهذا المعنى مروي عن عبدالله بن مسعود[٢] (ت: ٣٥هـ)، ومجاهد[٣] (ت: ١٠٤هـ)، والضحاك[٤] (ت: ١٠٥هـ)، وقتادة[٥] (ت: ١١٧هـ)، والربيع بن أنس[٦] (ت: ١٣٩هـ)، وكلمة المفسرين قاطبة متجهة إلى هذا المعنى، وقد أصْفَقُوا عليه[٧].

ونلحظ هنا تعدية (الصابرين) إلى ظرف زمانه (حين)؛ لأن القتال حالة لا تكاد تدوم[٨].

إن التدرع بالصبر من صفات أهل البر، فمن سماتهم السائرة ومناقبهم الجليلة: ضبط النفس، وتحمل المكاره، بشتى أبعادها، وتعدد مجالاتها، فيتغلبون على الصدمات، ويقارعون الملمات، ولا يستسلمون للأزمات، مفزعهم إلى الله مولاهم، فهو الواهب، وهو المانع، ولله ما أخذ، وله ما أعطى، آمنوا به حقاً، وتوكلوا عليه صدقاً، وأملوا فيه تفريج الهموم، وتكشيف الكروب، وجميل العواقب.

إنه مهما ترادفت الضوائق، وتشابكت العوائق، فإن بوادر الخروج من المنحة قادمة، وتباشير التنفيس آتية، وصدق الله القائل: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٩].

---

(١) انظر: البحر المحيط ٢/١٠.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٩١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٩٢/١، رقم: (١٥٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٩١، وذكره ابن أبي حاتم معلقاً في تفسير القرآن العظيم ٢٩٢/١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٩٢/١، وابن أبي الدنيا في الصبر ص ٤٩ رقم: (٥٧).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٩١.

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣/٩١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٩٢/١، رقم: (١٥٦٩).

(٧) انظر: تفسير مقاتل ٩٤/١، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٧٠، وجامع البيان ٣/٩١، وتفسير السمرقندي ١٨٠/١، وتفسير القرآن العزيز ١٩٧/١، وتفسير القرآن للسمعاني ١٧١/١، والكشاف ٣٦٧/١، وباهر البرهان ١٧٠/١، ونفس الصباح ٢٠٢/١، والمحرر الوجيز ٢٤٤/١، وزاد المسير ١٦٢/١، وبهجة الأريب ص ٤١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٣/١، والتيسير العجيب ص ٣٨، والتيسير في التفسير ٣٤/١، وتفسير ابن عرفة ٢١٠/١، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٧٢، والتبيان لابن الهائم ص ١١٩، ونظم الدرر ٣٢٥/١، وروح المعاني ٤٨/٢، وأضواء البيان ٩٧/١.

(٨) انظر: البحر المحيط ٢/١٠.

(٩) سورة آل عمران: ١٨٦.

ويقول رب العزة اللطيف بعباده، ومفرج الكروب: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ لقد استوعبت هذه الجملة أنواع الصبر؛ لأنه إما أن يحتاج إلى الصبر في شيء يعوز الإنسان، أو يريده فلا يناله، وهو ﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾. أو فيما نال جسمه من ألم، وهو (الضراء). أو في مدافعة مؤذيه، وهو ﴿ٱلۡبَأۡسِ﴾"[1].

وقد جاء ترتيبها بالترقي من الأدنى إلى الأعلى، ومن الشديد إلى الأشد، وورودها بهذا الترتيب جاء مناسباً لما بعدها من الأحكام التشريعية، التي يستصحب معها توطين النفس على الصبر، وتحمل التكليف، فنلحظ أن آخر المذكورات من مجالات الصبر، وهو:

الصبر حين ﴿ٱلۡبَأۡسِ﴾ مناسب لأول الأحكام: وهو (القصاص).

والصبر في (الضراء) مناسب لثاني الأحكام: وهو (الصيام).

والصبر في ﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ مناسب لثالث الأحكام: وهو (الحج).

وقد أشار لهذا المعنى الدكتور محمد عبدالله دراز (ت:١٣٧٧هـ) بقوله: "لقد ختمت آية البر كما رأيت، بخصلةٍ من خصال البر مُيزت في إعرابها تمييزاً، فكان ذلك تنويهاً بشأنها أي تنويه، تلك هي خصلة البر، التي شعبتها الآية المذكورة إلى ثلاث شعبٍ: الصبر في البأساء، والصبر في الضراء، والصبر حين البأس. فهل تعلم أنه الآن وقد بدئ دور التفصيل، ستكون هذه الخصلة بشعبها الثلاث، أول ما تعنى السورة بنشره من تلك الخصال، وأنها ستنشرها نشراً مرتباً ترتيباً تصاعدياً على عكس ترتيب الطيّ: الصبر حين البأس، ثم الصبر في الضراء، ثم الصبر في البأساء..."[2].

إن المتصفين بخصال البر السابقة، هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لتحقيقهم الإيمان، ومطابقتهم الأقوال بالأفعال، وهم أهل التقوى الخُلّص بفعلهم الطاعات، واجتنابهم المحرمات، وهاتان الكلمتان الشريفتان: (البر) و(التقوى)، ملاك الدين، فهما جماع كل خير، وأساس كل فضلٍ. فالبر: اسم جامع للخير والطاعات، والتقوى: اسم جامع لما يتقى من شرورٍ وآثامٍ.

* * *

---

(١) قاله الراغب الأصفهاني. انظر: البحر المحيط ٢/١٠، ومحاسن التأويل ١/٤٤٤.

(٢) النبأ العظيم ص ١٩٦.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختمت بـه الرسـالات، أحمده سبحانه على عونه وتوفيقـه وتيـسيره إتمام هـذا البحـث، والـذي أسـفر عـن نتائج يمكن إيجازها فيما يأتي:

١. أن آية البر من أعظم آي الذكر الحكيم؛ لجمعها خصال الدين الظاهرة والباطنة.

٢. البر والتقوى كلمتان شريفتان، وخصلتان حميدتان؛ بهما قـوام الـدين، وسـعادة الـدارين، فـالبر: اسـم جـامع للخيـر، ومراضي الخـصال، والتقـوى: اتقـاء المنـاهي، والوقوع في الشرور والمعاصي.

٣. أن البر أعم من التقوى، وأعلى مرتبة منه؛ لذا يـأتي تقديمـه فـي الآيـات التـي يقتـرن بها.

٤. البر والتقوى إذا أفردا دخل كل واحـد منهما فـي الآخـر تـضمناً؛ لأن البـر جـزء مـن التقوى، والعكس.

٥. ظهـر مـن خـلال الدراسـة سـعة مـدلول (البـر) الـذي هـو خـلال الخيـر كلهـا، ممـا يتقرب به إلى الله تعـالى، مـن الإيمـان، والأعمـال، والأخـلاق، والآداب، وغيرهـا مـن الطاعات التي هي جزء من مجموع خصاله، وشعبه المتعددة، مما يدل على علو هذه الكلمة، وبسوقها.

٦. جمعـت الآيـة الكريمـة أصـول الإيمـان الخمـسة: الإيمـان بـالله، واليـوم الآخـر، والملائكــة، والكتــاب، والنبيــين، وبهــذه الأســس تترســخ شــجرة الإيمــان الاعتقادية في القلب المؤمن، ويحيى حياة طيبة.

٧. مـن مجـامع البـر: الـشعائر التعبديـة الكبـرى التـي شـرعها الله تعـالى لعبـاده، ومنهـا: الـصلاة، والزكـاة، وإيتـاء المـال لـذوي القربـى، واليتـامى، والمـساكين، وابـن الـسبيل، والسـائلين، وفك الرقاب، والقيام بهذه الشرائع، والتحلي بهذه الأعمال، نعيم الأرواح وسـرورها، وواحـة الأمـن والإيمـان، والراحـة والاطمئنـان، وهـي ينبـوع الخيـر والـصلاح، وعنوان الصلة بالمولى – عز وجل –.

٨. فـي الآيـة الكريمـة حمـل علـى البـذل والعطـاء، والجـود والإنفـاق، إذ اقتـرن إيتـاء المال بالبر، وسـرد مـن أصنافه جملـة، فمـن مكنـه الله بالمـال، فلينفـق منـه إنفاقـاً

محموداً، ولا يتعلق بغضارة الدنيا وزخرفها، وليثق بموعود الكريم في الرزق، وأنه يخلفه عليه دنيوياً وأُخروياً.

٩. من مظاهر البر الجليلة: الأعمال القلبية، ومن منازله: الوفاء بالعهد، والصبر في مجالاته الثلاثة ﴿فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ وتحقيقها من معالم الإيمان، ومحاسن الأخلاق.

١٠. ورد ﴿ٱلۡبِرَّ﴾ محلى بالألف واللام ثمان مراتٍ في ست آياتٍ من التنزيل المدني، وتوزيعها كما يأتي:

(سورة البقرة): خمسة مواضع، وهي أكثر سورة ذكر فيها (البر) الآية ٤٤: مرة واحدة، الآية ١٧٧: مرتان، الآية ١٨٩: مرتان.

(سورة آل عمران): موضع واحد في آية ٩٢.

(سورة المائدة): موضع واحد في آية ٢.

(سورة المجادلة): موضع واحد في آية ٩.

هذا وقد زخر البحث بكثيرٍ من المعاني، واللطائف، والهدايات،، وكشف عن مواطن ورود كلماتٍ قرآنيةٍ، ودورانها في الكتاب العزيز، وأبان فروقاً دقيقة بين الألفاظ، وما أوحاه السياق من الدلالات، والإرشادات، والمخبوء من أفانين البيان، ومظاهر الإعجاز، وقد سطر نقولاً عن أهل العلم بما يوضح حقائق التنزيل، ويفصح عن خفايا التأويل... والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- إتمام المنة بشرح اعتقاد أهل السنة. للدكتور إبراهيم البريكان، دار السنة، الخبر، ط١، ١٤١٨هـ.
- أحكام الفقير والمسكين في الكتاب العظيم والسنة النبوية. لمحمد بازمول، دار البشائر.
- أحكام القرآن الكريم. لابن العربي. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- أحكام القرآن. لابن الفرس. تحقيق: صلاح الدين بوعفيف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- أحكام القرآن. لأبي بكر الجصاص. تحقيق: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- أحكام القرآن. للكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- إحياء علوم الدين. للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الأدب المفرد. للبخاري، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت – دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- الأزهية في علم الحروف. لعلي الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٣هـ.
- أساس البلاغة. للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- أساليب المجرمين في التصدي لدعوة المرسلين في ضوء القرآن الكريم. لمحمد المسند، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري – جمعاً وتخريجاً ودراسة –. لحسن البلوط، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى.
- أسباب نزول القرآن. للواحدي، تحقيق: د. ماهر الفحل، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الاستذكار. لابن عبدالبر، تعليق: سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الاستيعاب في بيان الأسباب. لسليم الهلالي، د. محمد آل نصر، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٥هـ.
- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية. لسليمان الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، نشر: الفاروق الحديثة، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- الاشتقاق. لابن دريد، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.
- الإشراف على نكت مسائل الخلاف. لعبدالوهاب المالكي، تحقيق: الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ.

- إصلاح المنطق. لابن السكيت، شرح وتحقيق: أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
- الأصول في النحو. لمحمد بن السراج، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. للشنقيطي، تخريج: محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- إعراب القراءات الشواذ. للعكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- إعراب القرآن. لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم. للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. لأبي البركات الأنباري، تعليق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء. تعليق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة. لعبدالله بن عبدالحميد، مدار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- بائع الصنائع في ترتيب الشرائع. للكاساني، تحقيق: محمد درويش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢١هـ.
- باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن. لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: سعاد بابقي، نشر: معهد البحوث العلمية بمكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ.
- البحر المحيط. لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبدالموجود وجماعةن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- البرهان في علوم القرآن. للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب. للتركماني، تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة المنار، الأردن، ١٤١٠هـ.
- البيان في غريب إعراب القرآن. لأبي البركات الأنباري، تحقيق: د. طه عبدالحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.

- التأويل النحوي وأثره في توجيه المعنى في تفسير الفخرالرازي. لعلي الشهري، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٢٦هـ.
- تأويل مشكل القرآن. لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- التبيان في إعراب القرآن. للعكبري، تحقيق: إبراهيم عوض، دار الحديث، القاهرة.
- التبيان في تفسير غريب القرآن. لأحمد الهائم، تحقيق: د. فتحي أنور، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٢هـ.
- التبيان لبديعة البيان. لابن ناصر الدمشقي، تحقيق: د. عبدالسلام الشيخلي وجماعة، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ.
- التحرير والتنوير. للطاهر بن عاشور، (بدون رقم الطبعة، ولا اسم الناشر).
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم. لحسن المصطفوي، ط١، طهران، ١٣٩٣هـ.
- ترجيحات الإمام ابن جرير في التفسير (من أول الكتاب إلى نهاية تفسير الحزب الثالث من القرآن). لحسين الحربي، رسالة دكتواره، قسم القرآن وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢١هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل. لابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ.
- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. لابن باديس، جمع وترتيب: د. توفيق شاهين، ومحمد رمضان، وتعليق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- تفسير ابن عرفة. لابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- التفسير البسيط. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، سورة البقرة من آية (٦٧) – آية (١٩٥)، تحقيق: د / محمد الخضيري، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
- تفسير السمرقندي. لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: عادل عبدالموجود وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار). لمحمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- تفسير القرآن العزيز. لابن أبي زمنين، تحقيق: عبدالله عكاشة، ومحمد الكنز، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول –عليه الصلاة والسلام– والصحابة والتابعين. لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن العظيم. لابن كثير، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن. لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير القرآن. لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- التفسير الكبير. للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- تفسير غريب القرآن العظيم. لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. حسين ألمالي، ط١، (بدون تاريخ).
- تفسير غريب القرآن. لابن الملقن، تحقيق: سمير طه مجذوب، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- التلخيص في القراءات الثمان. لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد موسى، نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط١، ١٤١٢هـ.
- التمهيد في علم التجويد. لمحمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. لابن عبدالبر، تحقيق: أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- تهذيب التفسير وتجريرد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل. لعبدالقادر بن شيبة الحمد، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. للمزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٥هـ.
- تهذيب اللغة. للأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، (بدون رقم الطبعة، ولا اسم الناشر).
- توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً. للدكتور عبدالعزيز الحربي، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- التيسر العجيب في تفسير الغريب. لابن المنير الإسكندراني، تحقيق: سليمان أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

- تيسير البيان لأحكام القرآن. لمحمد الموزعي، تحقيق: أحمد المقري، طبع رابطة العالم الإسلامي، عام ١٤١٨هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- التيسير في التفسير. للديريني، تحقيق: د. مصطفى الذهبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- التيسير في القراءات السبع. للداني، بعناية: أوتويرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لأبي جعفر محمد الطبري، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. لابن رجب، مكتبة طيبة، المدينة النبوية، ط٢، ١٤١٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. لمحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- جمهرة اللغة. لابن دريد، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.
- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار. لعبدالقادر بدران، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٠هـ.
- جواهر الألفاظ. لقدامة الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الحاوي الكبير في مذهب الإمام الشافعي. للماوردي، تحقيق: علي معوض، وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- حجة القراءات. لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد. لأبي علي الفارسي، تعليق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

- حلية الفقهاء. لابن فارس، تحقيق: محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم. فريد السليم، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٧هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني في ضوء ترجيحات الرازي – دراسة نظرية تطبيقية – للدكتور عبدالله الرومي، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- درة الغواص في أوهام الخواص. لأبي محمد القاسم الحريري، مكتبة المثنى، بغداد.
- ديوان الحطيئة. من رواية ابن حبيب، عن ابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني، شرح: أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، ١٤١٨هـ.
- ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي. تحقيق: حسان أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ديوان عروة بن الورد والسموأل. دار صادر، بيروت.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة. للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمود بيجو، دار اقرأ، سوريا، ط١، ١٤٢٢هـ.
- رؤوس المسائل في الخلاف على مذهب أبي عبدالله أحمد بن حنبل. لأبي جعفر عبدالخالق الهاشمي، تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، دار الخضر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الرسالة التبوكية. لابن القيم، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- الروض المربع شرح زاد المستقنع. لمنصور البهوتي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- روضة الطالبين. للنووي، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ.
- زاد المسير في علم التفسير. لعبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. محمد عبدالرحمن عبدالله، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس. لأبي بكر الأنباري، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- زهرة التفاسير. لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.

- سر صناعة الإعراب. لابن جني. تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- سنن أبي داود. لأبي داود السجستاني. تحقيق: عزت الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، ط١، ١٤١٧هـ.
- سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة. للدكتور حسين شرفه، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ.
- سير أعلام النبلاء. للذهبي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٤هـ.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك. لابن الناظم. تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: د. محمود حلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- شرح التسهيل لابن مالك. تحقيق: د. عبدالرحمن السيد، ود. محمد المختون، هجر، الجيزة، ط١، ١٤١٠هـ.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب. تحقيق: د. يحيى مصري، نشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ.
- شرح السنة. للبغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
- شرح العقيدة الواسطية. لمحمد العثيمين، دار الثريا، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- شرح ديوان الحطيئة. رواية وشرح ابن السكيت، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- شرح ديوان الحماسة. للمرزوقي، نشره: أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- شرح ديوان عنترة. للخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٥هت.
- شرح شافية ابن الحاجب. لمحمد الاسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين، ١٣٩٥هـ.
- شرح مختصر الروضة. للطوفي، تحقيق: د. عبدالله التركي، ط٢، ١٤١٩هـ.
- شواذ القراءات. لمحمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الصبر والثواب عليه. لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير يوسف، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ.
- الصحاح. للجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢،

١٤١٤هـ.

- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح). ضبط وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، واليمامة (دمشق، بيروت)، ط ٥، ١٤١٤هـ.
- صحيح سنن أبي داود. للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- صحيح مسلم (المسند الصحيح). لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- الصلاة في القرآن الكريم – مفهومها وفقها –. للدكتور فهد الرومي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٧، ١٤١٧هـ.
- الصلاة. للدكتور عبدالله الطيار، دار الوطن، ألرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- طبقات النحويين واللغويين. للزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢.
- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. لعمر بن محمد النسفي، علق عليه: خالد العك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم. للدكتور أحمد ياقوت، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٤م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر. للحسن الصاغاني، تحقيق: د. فير محمد حسن، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ.
- العجاب في بيان الأسباب. لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالحكيم الأنيس، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. لابن القيم، تحقيق: إسماعيل مرحبا، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير. تعليق: خالد السبت، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٢٤هـ.
- علل القراءات. للأزهري، تحقيق: نوال الحلوة، ط١، ١٤١٢هـ.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشراف الألفاظ. للسمين الحلبي، تحقيق: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- العنوان في القراءات السبع. لإسماعيل الأندلسي، تحقيق: د. زهير زاهر، ود. خليل العطية، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود. لأبي الطيب ممد آبادي، مع شرح ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- العين. للخليل بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل. للكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، نشر: دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- غراس الأساس. لابن حجر، تحقيق: د. توفيق شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. لعبدالرحمن آل الشيخ، دار الخير، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب. للطيبي، دراسة وتحقيق سورتي النساء والمائدة. لصالح آل ناصر، رسالة دكتوراه، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤١٥هـ.
- الفروق اللغوية. لأبي هلال العسكري، علق عليه: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- فقه اللغة وسر العربية. لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: د. فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٦هت.
- القاموس المحيط. للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٢هـ.
- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية. للدكتور فضل حسن عباس، مجلة الفرقان، العدد السابع والأربعون، ١٤٢٦هـ.
- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه. للدكتور عبدالرحمن الحمود، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل – تأملات –. لعبدالرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٣٠هـ.
- قواعد الترجيح عند المفسرين – دراسة نظرية تطبيقية – لحسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية – دراسة نظرية تطبيقية – لوليد الحسين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل. لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط١، ١٤١٧هـ.
- كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم. لابن الحنبلي، تحقيق: د. زاهر الألمعي، ط٢، ١٤٠١هـ.
- كتاب الإبدال. لأبي الطيب الحلبي، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،

١٣٨٠هـ.

- كتاب الأموال. لأبي عبيدالقاسم بن سلام، تحقيق: سيد بن رجب، دار الهدي النبوي، المنصورة، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
- كتاب الشريعة. للآجري، تحقيق: د. عبدالله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- كتاب الصلاة وحكم تاركها. لابن القيم، تحقيق: عبدالله المنشاوري، مكتبة الإيمان، المنصورة.
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد. للمنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٧هـ.
- كتاب النبوات. لابن تيمية، تحقيق: د. عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الكتاب. لسيبويه، تحقيق: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وجماعة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات. للباقولي، تحقيق: د. عبدالقادر السعدي، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤١٥هـ.
- الكشف والبيان. لأحمد الثعلبي، تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الكليات. لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية. لعبدالعزيز السلمان، ط ١٢، ١٤١٣هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل. للخازن، ضبطه وصححه: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول. للسيوطي، تحقيق: خالد شبل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- اللباب في علل البناء والإعراب. للعكبري، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.
- لسان العرب. لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- مباحث التفسير. لأبي العباس الحنفي، تحقيق: حاتم القرشي، كنوز أشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ
- مجاز القرآن. لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ.

- مجمع البيان في تفسير القرآن. للطبرسي، تحقيق: هاشم المحلاتي، وفضل الله الطبطبائي، دار المعرفة، بيروت.
- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. لمحمد الصديقي. دار الإيمان، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٥هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- المجموع. للنووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي. دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- محاسن التأويل. للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لعبدالحق غالب بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم. لابن سيده، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البدائع. لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. لابن القيم، تحقيق: بشير عيون، مكتبة دار البيان، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى. للحدادي، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية. لمحمد بن عبدالوهاب، شرح محمود الألوسي، تحقيق: يوسف السعيد، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- المسائل المتفق عليها بين النحويين – جمعاً وتطبيقاً ودراسة – لدخيل العواد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٣هـ.
- المستدرك على الصحيحين. للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المستقصى في أمثال العرب. للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- المستنير في القراءات العشر. لأحمد بن سوار البغدادي، تحقيق: د. عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١، ١٤٢٦هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. بإشراف د. عبدالله التركي، وقام بتحقيقه مجموعة من المحققين، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- مسند الدارمي. للدارمي، تحقيق: حسين الداراني، دار المغني، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- مشكل إعراب القرآن. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ.
- المصباح المنير. للفيومي، مكتبة لبان، بيروت، ١٩٨٧م.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ.
- معالم التنزيل. لأبي محمد البغوي، تحقيق: محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.
- معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. للدكتور مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- معاني القرآن الكريم. لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن وإعرابه. للزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن. للأخفش، تحقيق: د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن. للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وعلي النجار، وغيرهما، دار السرور، بيروت.
- المعجم الموسوعة لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته. للدكتور أحمد مختار عمر وبمساعدة فريق عمل، سطور المعرفة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- معجم لغة الفقهاء. وضع الدكتور محمد قلعه جي، والدكتور حامد صادق، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم. للدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معرفة السنن والآثار. للبيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، مجموعة من دور النشر، ط١، ١٤١١هـ.
- معرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام المعروف بـ (السبعة). لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- المغرب في ترتيب المعرب. لناصر المطرزي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المغني. لابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن. للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ.

- مقاييس اللغة. لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المنهاج إلى أصول الدين عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة. للدكتور عثمان الصوينع، ط١، ١٤١٤هـ.
- موسوعة الألفاظ القرآنية. لمختار النّعال، مكتبة دار التراث، حلب، واليمامة، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- الموضح في التجويد. لعبدالوهاب القرطبي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.
- الموضح في التفسير. للحدادي، تحقيق: صفوان الداوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها. لابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر الكبيسي، نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط١، ١٤١٤هـ.
- النبأ العظيم. للدكتور محمد دراز، دار القلم، ط٢، ١٣٩٠هـ.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء. لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- النشر في القراءات العشر. لابن الجزري، تصحيح: علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. لبرهان الدين البقاعي، علق عليه: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العليمة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه. للخزرجي، تحقيق: محمد عزالدين الإدريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ١٤١٤هـ.
- النكت والعيون. لعلي الماوردي، تعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، وظاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الهداية إلى بلوغ النهاية. لمكي بن أبي طالب، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لعلي الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

* * *